



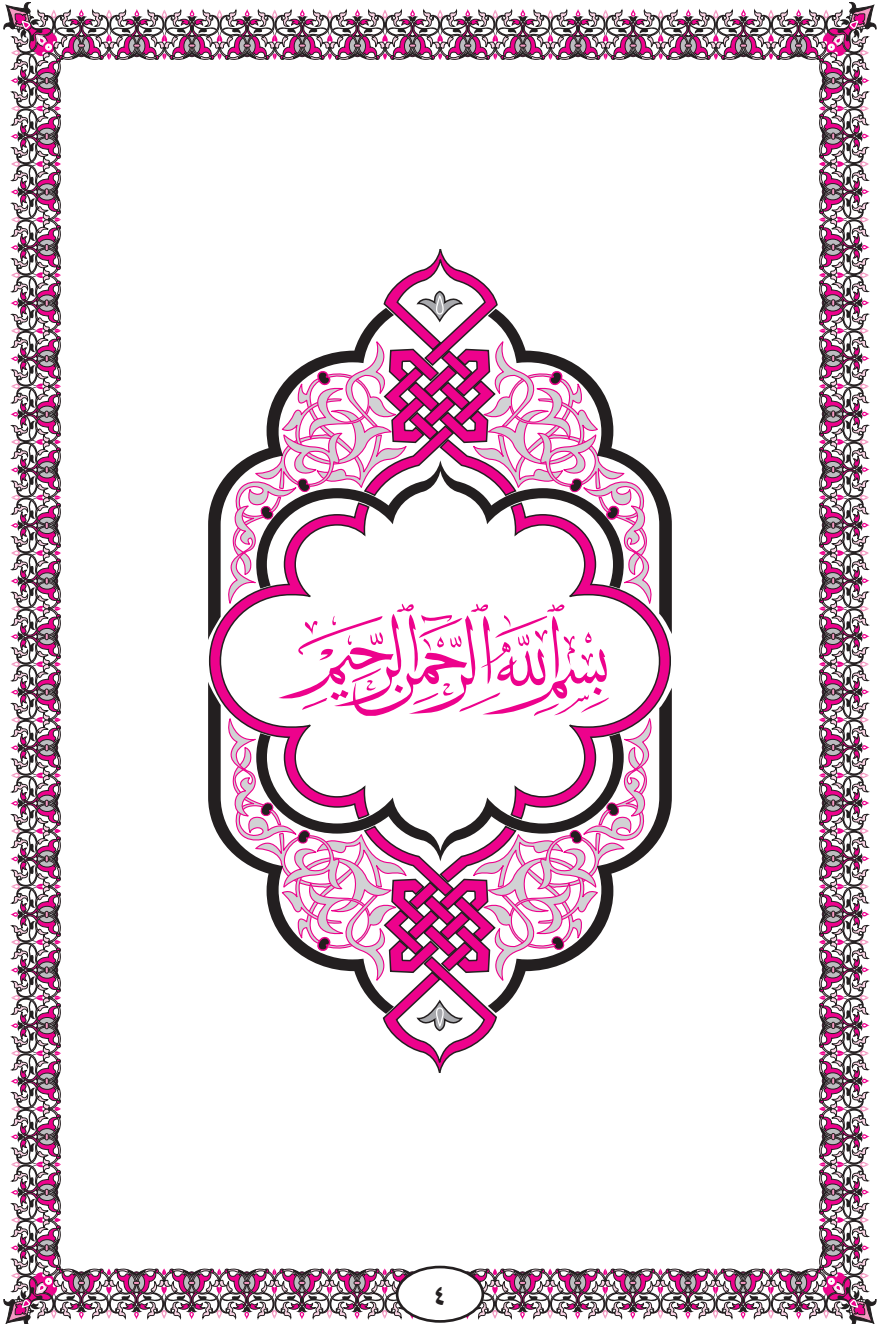
الكتاب: تفسير سورتي الإسراء والكهف

إعداد ونشر: جمعية القرآن الكريم للتوجيه والإرشاد

الطبعة الأولى كانون الثاني 2008 م - 1429 هـ - بيروت

جميع حقوق الطبع محفوظة

تفسیر
سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْكَهْفِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله
الطاهرين
قال الله تعالى:

﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لا يأتونَ بمِثْلِهِ ولو كانَ بعضُهُم لِبعضِ ظَهيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨).

القرآن الكريم المعجزة الخالدة لخاتم الأنبياء والمرسلين الحبيب
المصطفى ﷺ، وهنا في هذه الآية المباركة يبرز التحدي بأجلى صورته
وأسمى ضوءه ليشمل كل البشر والمخلوقات العاقلة الأخرى، فلتتظافر
هذه العقول ولتتعاقد، ولتحاول ما شاء الله لها أن تبعد وتحاول،
فالتحدي هو هو منذ زمن النبي الأكرم ﷺ حتى قيام الساعة، وسيبقى
يمثل أحد أركان المعجزة الإلهية التي أرادها الله سبحانه، لهذا حفظ
هذا الكتاب العظيم - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
- من التحريف والنقصان والتزوير ولو بحرف واحد باجماع المذاهب
والفرق الإسلامية المختلفة، ولا زال علماءنا الأبرار يكتبون ويصرحون
بعدم وقوع التحريف في كتاب الله، وهذا إمامنا الراحل العظيم الإمام
الخميني رحمته الله يقول:

«القرآن الكريم هو الكتاب الذي لم يحصل فيه تحريف في كلمة
واحدة أو حرف واحد منذ صدر الإسلام وحتى الآن».

نعم.. فالقرآن الكريم محفوظ بعين الله ورعايته:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

فما أحرانا -نحن- أن نعيش بصدق مع القرآن في كل وجودنا آناء الليل وأطراف النهار، ولنحفظه في قلوبنا ونفوسنا وبيوتنا ليحفظنا الله تعالى بحفظه من كل سوء.

وهذا الكتيب المتضمن تفسير سورتي الإسراء والكهف، هو المتن المطلوب في المسابقة السنوية -فئة التفسير التي تقيمها جمعية القرآن الكريم في لبنان-

راجين الله -جلّت عظمته- أن يتقبل منّا هذا الجهد المبارك، وأن يكون لنا ومضة متألّثة في الطريق اللاحب الذي يوصلنا إلى بر الأمان يوم الفزع الأكبر، مستظلين بكرم وجود آل البيت الأطهار، الثقل الأصغر، وديعة الرسول الأعظم ﷺ.

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.

صدق الله العلي العظيم

جمعية القرآن الكريم

للتوجيه والارشاد

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

تعريف مختصر بالسورة المباركة:

سورة الإسراء من السور المكية. عدد آياتها ١١١ آية. وسميت بهذا الاسم لحصول معجزة الإسراء بالنبي الأكرم ﷺ من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ولتحدث السورة في البداية والنهاية عن قسم من تاريخ بني إسرائيل المليء بالمفارقات والعجائب. سميت كذلك بسورة (بني إسرائيل). وقد تسمى بسورة (سبحان) لورود هذه الكلمة في بداية السورة.

وورد في فضل تلاوة هذه السورة أحاديث كثيرة عن الرسول ﷺ منها أنه قال: (من قرأ سورة بني إسرائيل فرّق قلبه عند ذكر الوالدين. أعطي في الجنة قنطارين من الأجر. والقنطار الف أوقية. والأوقية منها خيرٌ من الدنيا وما فيها).

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

(من قرأ سورة بني إسرائيل في كل ليلة جمعة لم يموت حتى يدرك القائم ويكون من أصحابه).

أهم المحاور التي تحدثت عنها السورة:

- ١- معجزة الإسراء التي تعتبر من البراهين الدالة على صدق نبوة النبي الأكرم ﷺ ومعجزة القرآن الكريم الخالدة.
- ٢- تحدثت بإسهاب عن بني إسرائيل في بداية السورة ونهايتها وما حصل لهم بسبب فسادهم وطفغانهم وعصيانهم لله ولرسوله.
- ٣- تحدثت عن بعض الآيات الكونية التي تدل على العظمة والوحدانية وعن النظام الذي يحكم الليل والنهار ويسير وفق نظام دقيق وثابت لا يمتد.
- ٤- تعرضت السورة الى بعض الآداب الاجتماعية. والأخلاق الفاضلة الكريمة فحثت عليها ودعت الى التحلي بها لتربية المجتمع المثالي الكريم والفاضل.
- ٥- تحدثت السورة عن ضلالات المشركين حين نسبوا الى الله تعالى صاحبة الولد، والغريب أنهم يكرهون البنات ثم ينسبونها الى الله تعالى وهو المنزه عن الشبيه والنظير.
- ٦- تحدثت عن البعث والنشور والمعاد والجزاء الذي كثر حول الجدل. واقامت الادلة والبراهين على إمكانه. ثم تحدثت عن القرآن الكريم معجزة محمد ﷺ الخالدة. وذكرت تعنت المشركين في اقتراحاتهم. حيث طلبوا معجزة أخرى غير القرآن. أن يُفجر لهم الأنهار ويجعل مكة حدائق وبساتين.
- ٧- ثم ختمت السورة بتزيه الله عن الشريك والولد وعن جميع صفات النقص.

والحمد لله رب العالمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا ﴿٢﴾
ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾
وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلِنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فِإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا
عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ
وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ
وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾
إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ
وَعْدُ الْأَخِرَةِ لِيَسْتَوْسُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

عَسَىٰ رَبِّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عَلَيْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
 حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ
 الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
 وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
 وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾
 وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَنِ يَذَّكَّرُ فَحُونًا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
 النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ
 السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ
 إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا
 يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا
 ﴿١٤﴾ مَن أٰهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
 عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَاِزْرَةً وَلَا نُزِرُ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
 رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
 فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن
 الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

اللغة والبيان:

باركنا حوله: جعلنا البركة في ما حوله، وجعلناه مهبط الملائكة

ومقر الأنبياء ﷺ

قضينا الى بني اسرائيل: أعلمنا بني اسرائيل

بعثنا عليكم: سلطنا عليكم

فجاسوا خلال الديار: بحثوا في الديار ليقتلوا من بقي منهم

حياً

رددنا لكم الكرّة عليهم: رددنا لكم الدولة والغلبة عليهم

ليسؤوا وجوهكم: ليهينوكم، فتظهر الإهانة والإذلال والقهر

على وجوهكم

ليتبروا: ليُدَمروا

حصيراً: محبساً وسجناً

أزمناه طائره في عنقه: جعل الله عمل الإنسان كالطوق في

عنقه لا يفارقه (كالقلادة في العنق)

ولا تزرُ وازرةٌ وزرٌ أخرى: أي لا يحمل أحد ذنب أحد

التفسير:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى

الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

الْبَصِيرُ﴾ (١)

الآية الكريمة تتحدث عن معجزة الإسراء والمعراج التي حصلت

للنبي ﷺ من مكة الى بيت المقدس في فلسطين في ليلة واحدة فقط

وقطع كل هذه المسافات الأرضية والعروج الى السماوات. فهذه الحادثة العظيمة تدعو الى التعجب والانبهار والدهشة، لذا يستدعي أن تبتدأ الآية ﴿سبحانه﴾ لتقديس الله وتعظيمه وتنزيهه عن صفات المخلوقين إذ كان الإسراء بالروح والجسد، وباليقظة لا بالمنام، وبعدها يُبين الله سبحانه بركة بيت المقدس من حيث انه مهبط الملائكة ومقر الأنبياء العظام وقد رأى النبي الأكرم ﷺ في هذه الرحلة الآيات العجيبة من الجنة والنار وسدرة المنتهى والملائكة والأنبياء ﷺ وهي آيات من آيات الله التي تدل على عظمته وقدرته تعالى.

فهو يعرف نبيه المصطفى ﷺ ويرى حقيقة عمله فاصطفاه بعد كل هذا الاختبار واختياره ليعرج به إلى ملكوت السماوات هذا المقام الشامخ الرفيع.

وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا (٢) ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾

الكتاب الذي أوتي موسى هو التوراة الذي جعله الله تعالى حجة ودلالة وإرشادا لبني إسرائيل والهدف هو أن لا تتخذوا من دون الله رباً ومرجعاً فهو الملجأ و المعين الذي تتوكلون عليه وحده.

وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقَ كَبِيرًا ﴿٤﴾

أخبرنا الله تعالى أن الإفساد من قبلهم مرتين في بيت المقدس، والمراد بالافساد هو الظلم وأخذ الأموال وقتل الأنبياء وسفك الدماء، وسيكون العلو الكبير نتيجة لهذا الإفساد والطغيان وانتهاك محارم الله.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ

فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾

فاذا جاء وقت أولى المرتبة من الإفساد سألنا عليكم عباداً لنا جبارين للإنتقام منكم، أصحاب قوة وبطش طافوا وسط البيوت للتفتيش عنكم لقتلكم، وهذا الإنتقام منكم، وسيحصل حتماً لا خلف فيه.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ

أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾

ثم رددنا لكم الدولة والغلبة بعد ذلك البلاء الشديد واعطيناكم الأموال الكثيرة والذرية بعد ان نُهبتم أموالكم وسُبيت أولادكم وجعلناكم أكثر عدداً من أعدائكم.

**﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ
الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَلِيَتَّبِعُوا مَا عَلُوا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾**

من أحسن فأحسانه عائد إليه ونفعه له، ومن أساء فعليه وحده تقع الإساءة هذا الخطاب هنا لبني إسرائيل بشكل خاص إلا انه عام. وإذا جاء وعد الإفساد الثاني والأخير بعثنا عليكم أعدائكم وغلبيوكم ودخلوا دياركم وليدخلوا بيت المقدس فيخربوه كما حصل في المرة الأولى. وليدمروا خلال علوهم تدميراً كبيراً.

﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ

حَصِيرًا ﴿٨﴾

لعل الله يرحمكم يا بني اسرائيل ان تبتتم إليه، لكن إن عدتم الى الإجرام والعصيان عدنا بكم الى الإنتقام والعقوبة وجعلنا جهنم للكافرين سجناً ومحبساً لا يستطيعون الخروج منها أبداً.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (٩)

القرآن الكريم هو وحده يمثل أقصر وأفضل طرق الاستقامة والثبات والهداية، وفي القرآن بشرى للمؤمنين المخلصين، وهي الثواب العظيم الذي ينتظرهم بسبب طاعتهم واستقامتهم، والجنة الخالدة التي لا تعب فيها ولا موت ولا نصب.

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٠)

بالمقابل يبشر المؤمنين بأن لأعدائهم الذين لا يؤمنون بالآخرة العذاب الأليم في دار الجحيم

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (١١)

أي يدع الإنسان بالشّر دعاءه بالخير ولو استجيب له في الشر كما يستجاب له في الخير لهلك، وهذا الدعاء أت من عجلة الإنسان فهو يضجر لأبسط الأسباب فيدعو على نفسه وعلى ولده دون التفكير في عاقبة عمله.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ (١٢)

الليل والنهار آيتان عظيمتان على وحدانية الله تعالى فجعل الليل مظلماً للراحة والنوم والهدوء وجعل النهار مضيئاً ليعمل الإنسان على نور وبصيرة، ويكسب معاشه ويدير أمر حياته وحياة عائلته، ومن خلال تعاقب الليل والنهار تحسب عدد الأيام والشهور والسنين وقد فصل الله سبحانه كل امور الدين والدنيا بأحسن تفصيل واكمل تقدير وبيان.

﴿وَكُلِّ إِنْسَانًا أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (١٣)

أي أن الإنسان مرهون بعمله مجزئاً به، وعمله ملازم له لزوم القلادة للعنق وفي الآخرة يرى كل أعماله من حسنات وسيئات مكتوبة في هذا الكتاب المطروح أمامه والمفتوح ولا يمكنه تجاهله.

﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (١٤)

اقرأ كتاب أعمالك وكفى بك أن تكون اليوم شهيداً بما عملت ولا تحتاج إلى شاهد أو حسيب.

﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٥)

أي من اهتدى في الدنيا إلى طاعة الله فممنفعة اهتدائه له، ومن ضلَّ عن طاعة الله فعقاب ضلاله راجع إلى نفسه، ولا يحمل أحدٌ ذنب أحدٍ ولا يجني الجاني إلا على نفسه.

والله سبحانه لا يعذب أحداً إلا بعد الإبلاغ والإنذار وإرسال الرسل لتقوم الحجّة على الناس.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (١٦)

أي إذا أردنا هلاك قوم من الأقوام أمرنا المتعتمدين منهم والقادة والرؤساء بالطاعة على لسان رسلنا فعصوا أمرنا وخرجوا من طاعتنا فسيحجن بهم العذاب ويؤدي إلى هلاكهم، وخصَّ المنعمين والرؤساء بالذكر لأن غيرهم تبع لهم.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ

خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

أي وكثير من الأمم المكذبة للرسل أهلكتناهم من بعد نوح كقوم عاد
وتمود وفرعون وغيرهم، وكفى بالله سبحانه رقيباً وعالماً بذنوب خلقه
فيجازيهم عليها ولا يفوته شيء منها.

وَأَمَّا تَعْرِضَنَ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا
مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَّبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ
خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ الَّذِي آتَىٰكُمْ مِنْهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ
سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن
قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي
الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ
مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ
ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾
وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ
الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

وَأَمَّا تَعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا
مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ بَيِّنَاتٍ لِّمَن
يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ
خِطَاءً كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ
سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن
قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي
الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ
مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ
ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾
وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ
الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكُمْ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

اللغة والبيان:

- مدحوراً: مطروداً من رحمة الله
- محظوراً: ممنوعاً عن يريده الله تعالى
- مخذولاً: لا ناصر لك ولا معين
- اخفض لهما جناح الذل: بالغ في التواضع والخضوع لهما قولاً وعملاً
- للأوابين: للراجعين الى الله
- مغولة: لا تعطي ولا تهب شيئاً
- محسوراً: نادماً، ليس عندك شيء
- بالقسطاس: الميزان
- أحسن تأويلاً: أحسن عاقبة في الآخرة
- لا تقف: لا تتبع

التفسير:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨)

أي من كان يريد بعمله الدنيا فقط ولها يسعى ويعمل، عجلنا له فيها ما نشاء تعجيله من نعيمها لا كل ما يريد، ثم جعلنا له في الآخرة جهنم يدخلها مهاناً مطروداً من رحمة الله.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (١٩)

أي ومن أراد خير الآخرة ونعيمها ولمذاتها، وعمل الطاعات وتجنب

المعاصي، وهو مؤمن صادق الإيمان، فأولئك كان عملهم مقبولاً عند الله مثاباً عليه.

﴿كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (٢٠)

أي كل من الفريقين، من أراد الدنيا ومن أراد الآخرة، نعطيه من فضلنا الواسع تفضلاً منا وإحساناً في الحياة الدنيا، أما الآخرة فهي للمتقين خاصة، وعطاء الله ليس ممنوعاً عن أحد أبداً.

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَئِنَّ آخِرَةَ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ (٢١)

الخطاب موجه للنبي الأكرم ﷺ انظر كيف جعلنا بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء، وبعضهم مرضى وبعضهم أصحاء، وبعضهم عبيداً، وبعضهم موالي، حسب ما علمناه من المصالح، وفي الآخرة يكون التفاوت بينهم اعظم فما هو في هذه الدنيا خارج عن حدود التصور والحساب.

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ (٢٢)

أي لا تجعل معبوداً آخر مع الله لا في العقيدة، ولا في العمل، ولا في الدعاء، ولا في العبودية، فتصبح ملوماً عند الله مخذولاً منه، لا ناصر لك ولا معين.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِأَنوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (٢٣)

أي حكم الله تعالى وأمر بان لا تعبدوا إلهاً غيره وأمر كذلك

بالإحسان الى الوالدين لانهما السبب الظاهر لوجوده وعيشه ويتأكد الاهتمام بالوالدين أو بأحدهما حين الكبر لأن الإنسان يحتاج الى الرعاية والاهتمام أكثر في سن الشيخوخة فلا يستدعي هذا لأن تتضجر ولو بكلمة أف ولا تسمعهما قولاً سيئاً ولا تزجرهما، بل قل لهما قولاً ليناً طيباً بأدب وتعظيم ووقار.

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٢٤)

أي تواضع لهما بتذلل وخضوع وادع لهما بالرحمة وقل في دعائك يا رب ارحم والديّ برحمتك الواسعة كما أحسنا اليّ في صغري وضعفي.

﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ (٢٥)

أي أن الله اعلم بما في نفوسكم من إرادة البر والعقوق، وهو اعلم ان كنتم قاصدين للبر والصلاح أو العقوق، أي أعلم بضمائركم ويفسر للأوَّابين كلما أخطأوا عادوا الى ربهم مستغفرين منيبين.

﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ ثَبَدِيرًا﴾ (٢٦)

أي أعط كل من له قرابة بك، حقه من البر والإحسان، وأعط المسكين حقه الذي جعله الله له من الزكاة وأعط المنقطع عن بلاده حقه كذلك، ولا تنفق ما لك في غير طاعة الله فتكون مبذراً، والتبذير هو الإنفاق في غير حق.

﴿إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (٢٧)

والمسرفين هم قرناء الشياطين ومعهم في جهنم، وطبيعة الشيطان
وديدنه هو كفران نعم الله

﴿وَأِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا
مَيْسُورًا﴾ (٢٨)

أي اذا لم تجد ما تعطي هؤلاء الأقرباء والمساكين وابناء السبيل
فقل لهم قولاً ليناً وطيباً وعدهم وعداً حسناً جميلاً.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ
مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ (٢٩)

- في الشطر الأول من الآية تمثيل للبخل الذي لا يعطي شيئاً كمن
يده مغلولة الى عنقه أي لا يقدر على الإعطاء والبذل والشطر الثاني
تمثيل للمبذر الذي يعطي جميع ما عنده فيكون بمنزلة من بسط يده
حتى لا يبقى فيها شيء وهذا كناية عن الإسراف والمعنى لا تكون بخيلاً
ولا مسرفاً ونتيجة الحاليتين تكون مذموماً من الخالق ومن المخلوقين
منقطعاً من المال.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا
بَصِيرًا﴾ (٣٠)

الله سبحانه يوسع الرزق على من يشاء ويضيّق على من يشاء مع
سعة خزائنه بحسب ما تقتضيه المصلحة فهو القابض وهو الباسط
وهو العالم باحوال العباد والبصير بجاداتهم.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ
كَانَ خَطِيئًا كَبِيرًا﴾ (٣١)

أي لا تقتلوا أولادكم مخافة الفقر فرزقهم علينا لا عليكم، بل ضمن

الله تعالى الأرزاق للجميع، لأن قتل الأولاد إثم عظيم وذنب كبير عند الله سبحانه.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٢)

- نهى الله تعالى عن الإقتراب من الزنى لأن هذا الفعل قبيح، بل في منتهى القبح وطريقاً سيئاً يوصل الى جهنم كما له آثار خطيرة على الفرد والمجتمع ومن نواح شتى.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (٣٣)

أي لا تقتلوا نفساً حرم الله قتلها بغير حق شرعي كالمرتد، القاتل عمداً، والزاني المحصن وغيرهم، ومن قتل ظلماً بغير حق فقد جعل الله سبحانه له سلطة على القاتل بالقصاص منه - أو أخذ الدية أو العفو فلا يتجاوز الحد المشروع بقتل غير القاتل أو يقتل اثنين بواحد كما كان أهل الجاهلية يفعلون. فليكن عادلاً في قصاصه.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (٣٤)

أي لا تتصرفوا في مال اليتيم إلا بالطريقة التي هي أفضل وهي حفظه واستثماره حتى يبلغ اليتيم سن الرشد، ويحسن التصرف في ماله، وأوفوا بالعهود سواء كانت مع الله أو مع الناس لأنكم تسألون عنها يوم القيامة.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٣٥)

أي أتموا الكيل ولا تبخسوا منه شيئاً وزنوا بالميزان السوي بلا بخس ولا غبن، لأنه خير لكم في دينكم وأحسن عاقبة في أخراكم.

﴿وَلَا تَقْضُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦)

أي لا تتبع ما لا تعلم ولا يعينك أمره، بل تثبت من كل خبر، أو لا نقل سمعت ولم تسمع ولا رأيت ولم تر، ولا علمت ولم تعلم، لأن السمع يسأل عما سمع، والبصر عما رأى، والقلب يسأل عما عزم عليه، فالجوارح كلها تسأل عما عملت وتشهد على صاحبها.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّكَ لَنْ تُخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طَوْلًا﴾ (٣٧)

أي لا تمش في الأرض مختالاً، وقيل إن المرح شدة الفرح بالباطل، فلماذا هذا التكبر والخيلاء وأنت لن تجعل فيها خرقاً أو شقاً، وكيف تتناول على الجبال ولن تبلغها طولاً، وفي النهاية أنت أضعف من الأرض والجبال، وفي هذا حث على التواضع والوقار والمروءة.

﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ (٣٨)

أي ما ذكر من النواهي كان قبيحاً ومُحَرَّمًا ومكروهاً لا يريد الله لعباده ولا يرتضيه.

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
 ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَكَمُ رَبُّكُمْ
 بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾
 وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾
 قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ ءِالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتِغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا
 ﴿٤٢﴾ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ عَلَٰوًا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمٰوٰتُ
 السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِنْ
 لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ
 الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا
 مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ
 وَقْرًا وَإِذَا ذُكِرْتَ بِكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا
 ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ
 إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ أَنْظِرْ
 كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾
 وَقَالُوا ءَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرَفْنَا ءَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾

﴿٥٠﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي
 صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
 فَسَيَذَّكَّرُونَ إِلَيْكُمْ إِنَّهُمْ يُوقِنُونَ وَمَتَى هُوَ قُلٌّ عَسَىٰ أَنْ
 يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجُبُونَ بِحَمْدِهِ
 وَتَقْتُلُونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ
 أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ
 عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يُرْحَمَكُمُ أَوْ إِنْ يَشَأْ
 يُعَذِّبِكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
 بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ
 وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا
 يَمْلِكُونَ كَشَفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
 يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ
 رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾
 وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
 أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

اللغة والبيان

- صرّفنا: كررنا الدلائل وفصلنا المعاني والأمثال
- أكنة: أغطية
- وقرأ: صمّاً وثقلاً في السمع
- نجوى: يتناجون في ما بينهم ويتسارون
- فسيئغضون: فسيحركون رؤوسهم استهزاء
- فتستجيبون بحمده: تخرجون من قبوركم، قائلين سبحانك
وبحمدك
- ينزغ بينهم: يفسد بينهم، يفرى بعضهم ببعض
- مسطوراً: مكتوباً في اللوح المحفوظ

التفسير:

﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
آخَرَ فَتُنْقَلَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ (٣٩)

كل الذي تقدم من القصص والآداب والأحكام هي بعض الذي أوحاه اليك ربك - يا محمد - من المواعظ البليغة والحكم الفريدة وفي ختام الآية يوجه الخطاب الى النبي والمراد غيره لأنه ابلغ في الزجر، ويأمر بعدم الشرك بالله، لان المشرك مصيره جهنم يخلد فيها مبعداً مطروداً من كل خير.

﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ
قَوْلًا عَظِيمًا﴾ (٤٠)

هذا الخطاب موجه لمن جعل الملائكة بنات الله، والمعنى

أَفَحَصَّكُمْ رِبِكُمْ وَأَخْلَصَكُمْ بِالذَّكُورِ وَاتَّخَذَ لِنَفْسِهِ عَلَى زَعْمِكُمُ الْبِنَاتِ؟
انكم لتقولون قولاً عظيماً في بشاعته وشناعته حينما تتسبون اليه
البنات والحال انكم تكرهونهنّ.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾

(٤١)

أي بيّنّا للناس في هذا القرآن العظيم المواعظ والأمثال ليتذكروا
وليتفكروا فيها، فيعرفوا الحق وينزجروا عمّا هم فيه من الشرك
والضلال، ولكن لا يزيدهم بيان هذه الأمثال والمواعظ والحكم إلا
تباعداً عن الحق وغفلةً عن الإعتبار.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بَتَّغُوا إِلَهِي الَّذِي الْعَرْشِ

سَبِيلًا﴾ (٤٢)

أي قل - يا محمد - لو فرضنا أنّ مع الله الهة أخرى كما يقولون
طلبوا طريقاً الى مغالبة ذي الجلال ليسلبوا ملكه كما يفعل ملوك
الدنيا بعضهم ببعض.

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (٤٣)

تنزه الله وتقديسه عما يقول أولئك الظالمون وتعالى ربنا عمّا نسبوه
إليه من الزور والبهتان علوّاً كبيراً.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ
شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا
غَفُورًا﴾ (٤٤)

كل الكائنات والمخلوقات تسبح لله وتقديسه بنحو من التسبيح، بل
وكل شيء في هذا الوجود يُسَبِّحُ لله، ويُنزهه وهو ناطق وشاهد على

عظّمته، وهذا التسبيح أنتم لا تظهمونه لانه ليس بلغاتكم والله سبحانه لا يعاجل من عصاه بالعقوبة، وهو غفور لمن تاب وأناب اليه.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ (٤٥)

أي واذا قرأت - يا محمد - القرآن جعلنا بينك وبين هؤلاء المشركين الذين لا يُصدّقون بالآخرة حجاباً خفياً يحجب عنهم فهم القرآن وإدراك حكمه واسراره.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَكُنَّا عَلَى آدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ (٤٦)

أي جعلنا على قلوب الكفار أغطية لئلا يفهموا القرآن. وصماً يمنعهم من استماعه، لذا فاذا وحدت الله وانت تتلو القرآن فرّ المشركون من ذلك هرباً من استماع كلمة التوحيد.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمْعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (٤٧)

أي حينما يستمعون إلى تلاوتك - يا محمد - يتحدثون فيما بينهم سراً، ويقول هؤلاء الفجار ما تتبعون الا رجلاً مسحوراً.

﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ (٤٨)

انظر - يا محمد - كيف شبّهوا لك الأشياء فقالوا إنك مجنون وساحر وشاعر وقد ضلّوا بقولهم هذا ضلالاً بعيداً فلا يجدون سبيلاً الى الهدى ولا طريقاً الى الحق المبين.

﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَلَمْ نَكُنْ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (٤٩)

قال المنكرون للبعث إننا إذا متنا وانتشرت لحومنا وصرنا عظاماً
وتراباً أُنْبِئْتُ بعد ذلك خلقاً جديداً ۝۹۹

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ (٥٠)

أي قل لهم - يا محمد - أجهدوا في أن لا تُعادوا، وكونوا إن
استطعتم حجارة في القوة أو حديداً في الشدة.

﴿أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي
فَطَرَكُمُ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى
أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ (٥١)

أي أو كونوا خلقاً آخر، بلى كونوا ما شئتم فسيعيدكم الله، القادر
العظيم الذي خلقكم من العدم أول مرة، وهنا سيحركون رؤوسهم
استهزاءً، ويقولون متى يكون هذا البعث؟ وهذه الإعادة؟ قل لهم
سيكون قريباً، فكل آت قريب.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾
(٥٢)

أي يوم يدعوكم الله عز وجل للإجتماع في المحشر يوم القيامة
فتجيبون أمره، معترفين بان الحمد لله على نعمه لا تتكرونه وتظنون
لهول ما ترون أنكم ما أقمتم في الدنيا الا زمناً يسيراً

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنْ
الشَّيْطَانَ كَانَ لِلِإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (٥٣)

أي قل لعبادي المؤمنين أن يقولوا في محاوراتهم ومخاطباتهم
الكلمة الطيبة ويختاروا من الكلام أحسنه وأفضله، لان الشيطان يُفسد
ويهيح بين الناس الشر، ويشعل نار الفتنة من خلال كلمة قد تصدر من

أحدهم لأنه ظاهر العداوة للإنسان منذ القدم. فهو يتلمس سقطات لسانه ليحدث العداوة بين المرء وأخيه

﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأُ يَرْحَمَكُمْ أَوْ إِنَّ يَشَأُ يُعَذِّبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ (٥٤)

أي ربكم اعلم بأحوالكم إن يشأ يرحمكم بالتوفيق للإيمان، وإن يشأ يعذبكم بالإماتة على الكفر والعصيان وما أرسلناك - يا محمد - حفيظاً على أعمال الكفار، كفيلاً عنهم لتجبرهم على الإيمان إنما أرسلناك نذيراً ومبليغاً، من اطاعك دخل الجنة ومن عصاك دخل النار.

﴿وَرَبِّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ (٥٥)

أي وربك سبحانه اعلم بعباده فجعلهم مختلفين في الصور والأرزاق والأحوال كما اقتضته المصلحة فيخص بالنبوة من يشاء من خلقه، وفضل بعض الأنبياء على بعض حسب علم الله وحكمته وخص كل نبي بميزة خاصة، فإبراهيم بالخلة وموسى بالتكليم وسليمان بالملك العظيم، وخص محمداً بخصائص لم يعطها أحداً وختم به النبوة وجعله سيد الأولين والآخرين ثم أنزلنا الزبور على داوود المشتمل على الحكمة وفصل الخطاب.

﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفِ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (٥٦)

قل يا - محمد - لهؤلاء المشركين ادعوا الذين زعتم أنهم آلهة من دونه تعالى فلا يستطيعون دفع البلاء عنكم ولا تحويله إلى غيركم.

﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب

ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً﴾ (٥٧)

- أي أولئك الآلهة الذين يدعونهم من دون الله هم أنفسهم يطلبون القرب إلى الله ويتوسلون إليه بالطاعة والعبادة فكيف تعبدونهم معه، وهم يرجون بعبادتهم رحمته سبحانه ويخافون عقابه ويتسابقون إلى رضاه، وعذاب الله شديد ينبغي أن يخاف من وقوعه.

﴿وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معدبوها

عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾ (٥٨)

أي ما من قرية عصت أمر الله وكذبت رسله إلا وسيهلكها الله إما بالإستئصال الكلي أو بالعذاب الشديد لأهلها، وكان ذلك حكماً مكتوباً في اللوح المحفوظ لا يتغير ولا يتبدل.

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ
 وَءَايِنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ
 إِلَّا تَخَوِّفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا
 جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
 فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفِهِمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾
 وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
 قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي
 كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِّرْتِنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَآتَحِنَكَ
 ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبُ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
 جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أُسْطَعَتَ
 مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخِيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ
 فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا
 غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى
 بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَبِّكُمْ الَّذِي يُرْجِي لَكُمْ الْفَلَكَ
 فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَجَدْنَاكُمْ
 إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ
 بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ
 وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ
 عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا
 لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ
 فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى
 كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ
 بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ
 كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ
 أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِنْ كَادُوا
 لِيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِتُفْتَرَى عَلَيْنَا غَيْرُهُ
 وَإِذَا لَاتُخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ
 تَرَكُّنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ
 الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

اللغة والبيان:

- مُبصرة: دلالة واضحة
- لاحتكن ذريته: لأغوين ذريته، وأقودنهم الى المعاصي كما تُقاد الدابة بحنكها.
- استفز: استخف واستزل من استطعت منهم بوسوستك
- أجلب عليهم بخيلك ورجلك: إجمع عليهم ما قدرت عليه من مكائذك واتباعك وذريتك
- سلطان: تسلط وقدرة على إغوائهم
- قاصفاً: عاصفاً، شديداً، مهلكاً
- تبيعاً: أحداً يطالبنا بما فعلنا
- فتيلاً: الخيط المفصول في شق النواة
- ثبتناك: ثبتنا قلبك على الحق
- تركزن إليهم: تميل إليهم

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ

النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ (٥٩)

أي ما منعنا من إرسال المعجزات والخوارق التي اقترفها قومك إلا تكذيب من سبقهم من الأمم حيث اقترحوا ثم كذبوا فأهلكهم الله، وما نرسل بالآيات الكونية كالزلازل والرعد والكسوف والخسوف إلا تخويفاً للعباد من المعاصي.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ

إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ

إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (٦٠)

- واذكر- يا محمد- إذ قلنا لك انّ الله أحاط بالناس علماً في الماضي والحاضر والمستقبل، فهو سبحانه لا يخفى عليه شيء من أحوالهم، وعلم أنهم لم يؤمنوا ولو جئتهم بما طلبوا من الآيات والمعجزات، وما الرؤية التي أريناها عياناً ليلة الاسراء والمعراج إلا امتحاناً واختباراً لأهل مكة حيث كذبوا وكفروا وارتدّ بعضهم لماً أخبروا بها. وما جعلنا شجرة الزقوم المذكورة في القرآن إلا فتنة للناس كذلك، ونُخَوِّفُ هؤلاء المشركين بألوان العذاب والآيات الزاجرة فما يزيدهم تخويفنا إلا غياً واستمراراً على الكفر والضلال.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (٦١)

هذه الآية والآيات التي بعدها تشير الى قضية امتناع ابليس عن إطاعة أمر الله في السجود لآدم ﷺ، والعاقبة السيئة التي انتهى إليها، وقال إبليس - لعنه الله- أسجد انا العظيم الكبير لهذا الضعيف الحقير الذي خلقته من طين؟

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٦٢)

- أي قال ابليس اللعين جرأة على الله وكفراً: أترى هذا المخلوق الذي فضّلته عليّ وجعلته عندك أكرم مني؟ لئن أبقيتني حياً الى يوم القيامة لاستأصلنّ ذريته بالإضلال والإغواء إلا قليلاً منهم وهم المخلصون الذي عصمهم الله تعالى.

﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ (٦٣)

- قال الله سبحانه - اذهب- يا إبليس فقد أنظرتك فمن أطاعك من ذرية آدم فإن جزاءك وجزاءهم نار جهنم جزاءً كاملاً وافرأ لا نقصان فيه.

﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (٦٤)

- أي استزل وحرّك من أردت أن تستفزّه فتخدعه بدعائك ووسوستك، وصحّ عليهم بأعوانك وجنودك من كل ركب وراجل - واجعل لنفسك شركة في أموالهم وأولادهم، وعدهم بالعود الخادعة المغرية والأمانى الكاذبة.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ (٦٥)

- أي أن عبادي المخلصين لا سلطان لك عليهم ولا يمكن لك أن تحملهم على المعصية وكفى بالله حافظاً لهم من كيدك وشرك.

﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٦٦)

- ربكم أيها الناس هو الذي يُسيّر لكم السفن في البحر لتطلبوا من فضل الله تعالى في اسفاركم وتجاراتكم، فالله تعالى رحيمٌ بعباده، لهذا سهل لهم أسباب ذلك.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ (٦٧)

- أي إذا أصابتكم الشدة في البحر وخشيتهم من الفرق وذهب عنكم ذكر كل معبود إلا الله فلما نجاكم من الشدة والفرق وأخرجكم الى

ساحل الأمان أعرضتم عن الايمان، وهذه هي طبيعة الانسان فهو كثير الجحود والكفران.

﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِفَ بَكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ (٦٨)

- أي أفأمنتم أيها الناس حين نجوتم من الغرق في البحر أن يخسف الله بكم الأرض فيخفيكم في باطنها ؟ أو يمطركم جميعاً بحجارة من السماء فتقتلكم كما فعل بقوم لوط، ولا تجدون حينها من يُنجيكم من عذابه.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ (٦٩)

- وهل أمنتم أن يجعل لكم حاجة في البحر أو يحدث لكم رغبة أو رهبة فترجعون الى البحر مرة أخرى، فإذا ركبتم البحر أرسل عليكم ريحاً شديدة كاسرة للسفينة فيغرقكم بسبب كفركم، ولا تجدوا من يأخذ لكم بالثأر منّا أو يطالبنا بتبعية إغراقكم.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠)

- أي لقد شرفنا آدم على جميع المخلوقات بالعقل والعلم وتسخير جميع ما في الكون لهم، وحملناهم على ظهور الدواب والسفن ورزقناهم من لذيذ المطاعم والمشارب، وفضلناهم على جميع من خلقنا من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات من الجن والبهائم والدواب والطير وغير ذلك.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (٧١)

- أي ننادي كُلَّ انسان بكتاب عمله لِيُسَلِّمَ له وينال جزاءه والامام هو الكتاب الذي يسجل فيه عمل الانسان فمن أعطي كتاب عمله بيمينه فأولئك هم السعداء، فهم يقرأون حسناتهم بفرح لأنهم هم الفائزون وفي الجنة خالدون ولا يظلمون ولا ينقص من أجور أعمالهم شيئاً ولو بمقدار الخيط الذي في شق النواة وهو المسمى (بالفتيل).

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾

(٧٢)

- أي ومن كان في هذه الحياة الدنيا أعمى القلب لا يهتدي الى الحق ولا الى الخير فهو في الآخرة أشدُّ عمىً وأشدُّ ضلالاً لأنه لا يجد طريقاً الى الهداية والنجاة.

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتَنُونَكَ مِنَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لَتُفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ
وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا﴾ (٧٣)

- أي أن المشركين حاولوا أن يصرفوك عن الذي أوحيناه إليك يا محمد - من بعض الأوامر والنواهي لتأتي بغير ما أوحاه الله إليك، ولو فعلت ما طلبوا منك لتولوك وأظهروا صداقتك واتخذوك صاحباً وخليلاً.

﴿وَلَوْ لَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرَكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (٧٤)

- أي ولولا أن ثبتناك على الحق بعصمتنا إياك لقاربت أن تسكن إليهم بعض السكون وأن تميل إليهم ميلاً قليلاً فتعطيهم بعض ما سألوك.

﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا

نَصِيرًا﴾ (٧٥)

- أي لو فعلت ذلك لعذبتك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب
الممات لأن ذنبك يكون أعظم، والآية الكريمة في مورد بيان فضل الله
العظيم على نبيه الكريم، وفي الآية تخويف لأُمَّته لئلا يركن أحدٌ من
المؤمنين الى أحدٍ من المشركين في شيء من أحكام الله وشرائطه،
وعندها لا تجد من ينصرك أو يدفع عنك عذابنا.

وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
 وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَنْ قَدْ
 أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ
 الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ
 قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمَنْ أَلِيلٌ فَتَهَجَّدْ بِهِ
 نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ
 أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ
 لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ
 إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ
 وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا
 أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا
 ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ۗ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ
 سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي
 وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ
 بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ^{٨٧} إِن فَضَّلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ^{٨٧} قُلْ
 لِّئِن أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
 لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ^{٨٨} وَلَقَدْ
 صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ
 إِلَّا كُفُورًا ^{٨٩} وَقَالُوا لَن نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ
 الْأَرْضِ يَنْبوعًا ^{٩٠} أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ
 فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ^{٩١} أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا
 زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بَالِلِهِ وَالْمَلَكَةِ قَيْلًا ^{٩٢}
 أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُؤْمِنَ
 لِرِيقِكَ حَتَّى تُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ
 كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ^{٩٣} وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ
 الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ^{٩٤} قُلْ لَوْ كَانَ
 فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ
 مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ^{٩٥} قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ
 شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ^{٩٦}

اللغة والبيان:

- ليستفزونك: يزعجونك من أرض مكة بالإخراج
- لدثوك الشمس: زوالها
- عَسَق الليل: ظلمته
- كان مشهوداً: صلاة الصبح تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار
- فتهجد به: صلّ ليلاً بعد الاستيقاظ
- نأى بجانبه: بعد بنفسه تكبراً وعناداً
- شاكلته: طبيعته وخليقته التي تخلق بها
- ظهيراً: معيناً
- كسفاً: قطعاً قد تركب بعضها على بعض
- قبيلاً: مقابلةً وعياناً

التفسير:

﴿وَأِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٧٦)

- أي أن المشركين أرادوا إخراجك - يا محمد - من أرض مكة ولو أخرجوك حقاً فسوف لا يبقون بعدك إلا زمناً يسيراً وفق سنة الله التي لا تتبدل مع الذين يخرجون رسلم من أوطانهم.

﴿سُنَّةٌ مِّنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ (٧٧)

- هذه هي سنة الله وعادته مع رسله في إهلاك كل أمة أخرجت رسولها من وطنه ومن أهله، وسنة الله لا تتبدل ولا تتغير على مر الدهور وتوالي الأزمان.

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لَدُنُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨)

- فسر الإمام الباقر عليه السلام هذه الآية بالقول:

﴿دلوكها زوالها، وغسق الليل إلى نصف الليل، ذلك أربع صلوات وضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقتتهن للناس، وقرآن الفجر صلاة الغداة﴾
فالآية الكريمة تتحدث عن الصلوات الخمس اليومية، كما في حديث الإمام الباقر عليه السلام: «أما قرآن الفجر كان مشهوداً» فمعناه أن صلاة الفجر تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار وعليه فأفضل وقت لأداء صلاة الصبح هي اللحظات الأولى لطلوع الفجر.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (٧٩)

- الآية الكريمة تعني صلاة الليل وهو القيام لأدائها بعد الهجود أي بعد النوم فهي زيادة لك على الفرائض وقد كانت صلاة الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم فالله سبحانه أوجب صلاة الليل على النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم لكي يجعل مقامه الشريف خاصاً به لا يشاركه أحد فيه وليكون هذا المقام محموداً دائماً وهو محمود بلا شك والمقام المحمود هو مقام الشفاعة الذي يشفع فيه لمن يستحق من الناس.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ (٨٠)

- النداء للنبي الأكرم صلى الله عليه وسلم أي يا رب أدخلني في أموري كلها إدخال صدق وأخرجني إخراج صدق واجعل لي من عندك قوة وعزة تنصرنني بها على أعدائك وتُعز بها دينك.

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٨١)

- أي جاء الإسلام الدين الحق وزهق الباطل وهو الشرك وعبادة الأصنام، والباطل ذاهباً مضمحلاً هالِكاً لا ثبات له ولا قرار.

﴿وَنَنْزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ

الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨٢)

أي في القرآن الشفاء من كل داء كما ورد في الحديث النبوي الشريف: (القرآن هو الشفاء) فيه الشفاء من أمراض القلوب والنفوس والأبدان، وهو رحمة للمؤمنين، أي نعمة لهم وخصمهم بذلك لأنهم هم المنتفعون به وحدهم، بعكس الظالمين الذي لا تزيدهم آيات القرآن إلا هلاكاً ودماراً لأنهم لا يُصدِّقون بما فيه فيزدادون غيأً وضلالاً

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنُنَّا بِيَأْتِيهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ

يَتُوسًا﴾ (٨٣)

- أي إذا أنعمنا على الإنسان بأنواع النعم، من صحة وغمى وأمن، أعرض عن طاعة الله وعبادته، وتباعد عن ربه، غروراً وبطراً وكبراً وإذا أصابته الشدائد والمحن قنط من رحمة الله كقوله تعالى: ﴿إِن

الْإِنْسَانَ خَلَقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾

(٨٤)

- أي كل واحد منكم يعمل على نهجه وطريقته في الهدى والضلال، فإن كانت نفس الانسان صافية صادقة، صدرت عنها أفعال فاضلة، وإن كانت نفسه فاجرة، صدرت عنه أفعال سيئة والله سبحانه وتعالى أعلم بمن هو أصوب ديناً وأحسن طريقاً.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ

الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥)

- أي يسألك - يا محمد - الكفار عن حقيقة الروح الإنسانية، هذه الروح التي تُميّز الإنسان عن الحيوان، قل لهم إنها من الله، وهي من الأسرار الخفية التي لا يعلمها إلا هو، وما أُوتيتُم أيها الناس من العلم إلا شيئاً قليلاً، لأن علمكم قليلٌ بالنظر الى علم الله، ونقل عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام أنهما قالوا في تفسير آية ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ...﴾ هي من الملكوت، من القدرة.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْنَا لَنَنذِرَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا

وَكَيْلًا﴾ (٨٦)

- أي لو أردنا ان نمحو هذا القرآن من صدرك - يا محمد- لا أحد يمنعنا من ذلك، ولو فعلنا ذلك لا تجد من يتوكل علينا لاسترداده وردّه إليك بعد ذهابه.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ (٨٧)

- ولكن من رحمة ربك لك، أن جعل القرآن محفوظاً في صدرك وصدور المؤمنين - وفضل الله عليك كان عظيماً إذ اختارك للنبوّة وخصّك بالقرآن وجعلك سيد الأولين والآخرين.

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا

يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٨٨)

- أي لو تضافروا واجتمع الانس والجن وأرادوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن لما استطاعوا على ذلك، فإن هذا الأمر ليس بمقدور أحد أبداً.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ

النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾

- أي لقد بينا لهم في هذا القرآن الحجج والبراهين القاطعة، ووضّحنا لهم الحق بالآيات والعبر والترغيب والترهيب، ولكن مع كل هذه البراهين الواضحة والحجج الساطعة أبى أكثر الناس إلا الجحود والتكذيب لله ورسوله.

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ (٩٠)

- قال المشركون لن نصدقك - يا محمد - حتى تشقق لنا من أرض مكة الجرداء القاحلة عيناً ينبع منها الماء بغزارة واستمرار.

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا

تَفْجِيرًا﴾ (٩١)

- أو يكون لك بستان فيه أنواع النخيل والأعناب والأنهار تتفجر فيها وتسير وسطها بقوة وغزارة.

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَيْفًا أَوْ تَأْتِي بِلِلِّهِ وَالْمَلَائِكَةِ

قَبِيلًا﴾ (٩٢)

- هذا الاقتراح الثالث وهو ان تجعل السماء تتساقط علينا قطعاً قطعاً لما كنت تخوفنا في قولك وتزعم أن الله سيعذبنا إن لم نؤمن بك أو تحضر لنا الله والملائكة ونراهم عياناً ومقابلَةً.

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ

لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا

رَسُولًا﴾ (٩٣)

- أي يكون لك قصر عظيم من ذهب لا من حجر وغيره، أو تصعد الى السماء بسلم ولا نصدقك بمجرد صعودك حتى تعود ومعك كتاب

من الله تعالى مكتوب فيه أنك عبده ورسوله، ونقرؤه بأنفسنا وهذا هو الاقتراح السادس والأخير.

وهنا أجابهم الرسول الأكرم ﷺ ، سبحان الله هل أنا إله حتى تطلبوا مني هذه المقترحات ؟!

ما أنا إلا رسول من البشر بعثني إليكم لهدايتكم فلم هذا الجحود والعدا ؟

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ (٩٤)

- وما صرف المشركين عن الايمان بالله ورسوله حين أتتهم البيّنات والحجج الا قولهم في أنه لا يجوز أن يبعث رسولاً إلا من الملائكة.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ (٩٥)

- أي قل لهم - يا محمد - لو كان اهل الأرض ملائكة يمشون على أقدامهم كما يمشي الناس ساكنين في الأرض ومستقرين فيها لنزلنا عليهم رسولاً من الملائكة، ولكن اهل الأرض بشر فالرسول إليهم يجب ان يكون بشر من جنسهم ليفهموا عليه ويفهم عليهم.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٩٦)

- أي كفى بالله شاهداً على صدقي، وهو سبحانه العالم باحوال عباده وسيجازيهم عليها

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ
 مِنْ دُونِهِ ۗ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَٰ وَبِكَمَا
 وَصَّمَا مَّا وُلَّهُمْ جَهَنَّمَ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾
 ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِعَايِنِنَا وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا
 وَرُفَاتًا ءَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
 وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾
 قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
 الْإِنْفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ
 ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَخَّلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ
 إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ
 هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَٰبِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ
 يَفِرْعَوْنُ مُثَبَّرًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ
 فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ
 أَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾
 وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٠٦﴾
 قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ءَوْ لَا تُؤْمِنُوْا إِنَّ الَّذِيْنَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ءِذَا يُتْلَىٰ
 عَلَيْهِمْ يَخِرُّوْنَ لِلْأَذْقَانِ سَجْدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُوْنَ سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِن كَانَ
 وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُوْلًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّوْنَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُوْنَ وَيَزِيْدُهُمْ
 خُشُوْعًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ اَدْعُوْا اللّٰهَ اَوْ اَدْعُوا الرَّحْمٰنَ اَيًّا مَا تَدْعُوْا فَلَهُ
 الْاَسْمَاءُ الْحُسْنٰى وَلَا تَجْهَرُ بِصَلٰتِكَ وَلَا تَخَافُ بِهَا وَابْتَغِ
 بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيْلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَمْ يَنْخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ
 لَهٗ شَرِيْكٌ فِى الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهٗ وَلِيٌّ مِّنَ الذَّلٰلِ وَكَبْرَهٗ تَكْبِيْرًا ﴿١١١﴾

اللغة والبيان:

- خَبِت: سكن التها بها
- قَتوراً: بخيلاً
- بصائر: حججاً وبراهين
- مثبوراً: هالكاً
- لفيضاً: جميعاً مختلطين
- فَرَقَتَاه: فصلنَاه، أو أنزلناه مُفْرَقاً
- على مُكث: على تأن وتثبّت
- نَزَلَنَاه تَنْزِيلاً: على حسب الحاجة ووقوع الحوادث
- يَخْرُونَ لِلأَذْقَان: يسقطون على الوجوه ساجدين
- خَشوعاً: تواضعاً

التفسير:

«وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلُّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَمِيًَّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾»

أي من يحكم الله بهداه فهو المهتدي بإخلاصه وطاعته على الحقيقة، ومن يحكم بضلاله لن تجد لهم انصاراً يقدرون على إزالة الضلال عنهم، ونجمعهم يوم القيامة يسحبون على وجوههم الى النار، يحشرون عمياً عما يسرهم بكماً عن التكلم بما ينفعهم صماً عمياً يتمتعهم كأنهم عدموا هذه الجوارح، ومستقرهم جهنم كلما سكن التها بها زدناهم استعالاً فيكون كذلك دائماً.

﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَأَنذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا
أَننَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (٩٨)

أي ذلك العقاب الذي استحقوه بتكذيبهم بآيات الله وقد تعجبوا من المعاد الجسماني لأن الانسان يتحول تحت التراب الى عظام نخرة ثم الى تراب، ثم تتلاشى ذرات التراب هذه وتنتشر.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ
مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٩٩)

أي أولم يعلموا أن البارئ عز وجل الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما قادر على أعادتهم، لأن القادر على الشيء قادر على أمثاله. وجعل لاعادتهم وقتاً لا شك فيه إنه كائن لا محال، فأبى الظالمون لأنفسهم إلا جحوداً بآيات الله ونعمه.

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ
وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَنُورًا﴾ (١٠٠)

أي قل -يا محمد - لهؤلاء الكفار لو ملكتهم خزائن أرزاق الله ومقدورات ربي لبقيتهم على الشح والتقتير والكرم وعدم الشكر خشية الفقر والفاقة.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ
فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ (١٠١)

أي لقد أعطينا موسى ﷺ تسع دلالات وحجج واضحات وهذه الآيات التسع هي يد موسى وعصاه ولسانه والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفدع والدم والسنين ونقص من الثمرات، فالظاهر أنها هي المراد، بالآيات التسع، وقال له فرعون يا موسى أظنك سُحرت فاختل عقلك.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائرٍ
وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ (١٠٢)

أي قال موسى مخاطباً فرعون: لقد علمت ما أنزل هذه الآيات البيّنات إلا رب السماوات والأرض وأنزلها بصائر يتبصر بها أي يتميز الحق عن الباطل، وإني لأظنك يا فرعون هالكا لعنادك وجحودك.

﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ (١٠٣)
معناه فأراد فرعون ان يزجج موسى ومن معه من أرض مصر وفلسطين والأردن بالنفي عنها وقيل بأن يقتلهم، فأغرقناه وجنوده ولم ينج منهم أحد، ولم يهلك من بني اسرائيل احد.

﴿وَقُلْنَا مَنْ بَعْدَهُ لَبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ
الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَصِيفًا﴾ (١٠٤)

أي من بعد هلاك فرعون وقومه قلنا لبني اسرائيل اسكنوا ارض مصر والشام، فإذا جاء يوم القيامة جئنا بكم من القبور الى الموقف للحساب والجزاء مختلطين التف بعضكم ببعض لا تتعارفون ولا ينحاز احداً منكم الى قبيلته.

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مَبْشَرًا وَنَذِيرًا﴾
(١٠٥)

معناه وبالحق أنزلنا القرآن عليك (وبالحق نزل) القرآن وتأويله أردنا بإنزال القرآن الحق والصواب وهو أن يؤمن به ويعمل بما فيه. ونزل بالحق لأنه يتضمن الحق ويدعو اليه، وما أرسلناك إلا مبشراً بالجنة لمن أطاع ومنذراً بالنار لمن عصى.

﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (١٠٦)

أي وأنزلنا عليك - يا محمد - قرآنًا فصلناه سوراً وآيات لتقرأه على الناس على تثبت وتؤدة فترتله ليكون أمكن في قلوبهم ويكون أقدر على التأمل والتفكر فيه ولا تعجل في تلاوته فلا يفهم عنك ونزلناه على حسب الحاجة ووقوع الحوادث.

﴿قُلْ أَمُنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ (١٠٧)

قل - يا محمد - لهؤلاء المشركين أمنتُم بالقرآن أو لا تؤمنوا فإن إيمانكم ينفعكم ولا ينفع غيركم وترككم الايمان يضركم ولا يضر غيركم، وهذا تهديد لهم عن الذين أعطوا علم التوراة من قبل نزول القرآن كعبد الله بن سلام وغيره فعلموا صفة النبي ﷺ قبل مبعثه، وقيل إنهم أهل العلم من أهل الكتاب وقيل إنهم أمة محمد ﷺ إذا يتلى القرآن عليهم يسقطون على الوجوه ساجدين.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ (١٠٨)

أي تنزيهاً لربنا سبحانه عما يضيف إليه المشركون إنه كان وعد ربنا مفعولاً حقاً يقينا ولم يكن وعد ربنا إلا كائناً.

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (١٠٩)

أي يسجدون باكين إشفاقاً من التقصير في العبادة وشوقاً الى الثواب وخوفاً من العقاب، ويزيدهم ما في القرآن من المواعظ تواضعاً لله تعالى واستسلاماً لأمر الله وطاعته.

﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١١٠)

أي قل - يا محمد - لهؤلاء المشركين المنكرين نبوتك حين قال المشركون وقد سمعوه ﷺ يقول: (يا الله يا رحمان) نهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهين، أو قالت اليهود: إنك لتقلل ذكرى الرحمن وقد أكثره الله في التوراة أي هذين الاسمين تسموا فهو حسن أي أسماء تدعونه به كان جائزاً وهي دالة على صفات الجلالة والاكرام وهذا منها (ولا تجهر بصلاتك) فلا ترفع بها صوتك رفعاً شديداً بحيث لا تعدّ مصلياً. (ولا تخافت بها) بحيث لا تسمع أذنيك فلا تعد قارئاً وابتغ بين الجهر والإخفات وسطاً.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا﴾ (١١١)

أي الحمد لله الذي تنزه عن الولد والشريك والولي الذي يفتر إليه غيره، أما هو سبحانه فَعَنِيَّ بذاته تقدست اسماؤه، وعظم - يا محمد - ربك عظمة تامة واذكره بصفات العزِّ والجلال والعظمة والكمال. وهذا هو الختام المسك الذي ينبعث من ثنايا هذه السورة المباركة فلما بدأت السورة بالتقديس والتعظيم لله سبحانه ختمت به، كأحسن ما يكون الختام فـ **﴿سبحان ربك رب العزة كما يصفون وسلاماً على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾**.

سُورَةُ الْكَهْفِ

تعريف مختصر بسورة الكهف المباركة

- سورة الكهف من السور المكيّة، عدد آياتها ١١٠ آيات، سمّيت بهذا الاسم لورود قصة أصحاب الكهف فيها حيث تحدّثت السورة عن هذه القصة المثيرة والمعجزة بما يعادل ربع آياتها البالغة ١١٠ آيات حيث بدأت السورة بـ ﴿الحمد لله﴾ لتكون بذلك السورة الخامسة التي تبدأ بالتحميد وهذه السور الكريمة هي: (الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر)، كلها تبتدئ بتحميد الله عزّ وجلّ وتقديسه.

عن رسول الله ﷺ قال: (ألا أدلكم على سورة شيعها سبعون ألف ملكاً. حين نزلت ملأت عظمتها ما بين السماء والأرض؟ قالوا: بلى. قال رسول الله ﷺ: سورة أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر الله له الى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام وأعطي نوراً يبلغ السماء ووقى فتنة الدجال).

ومعه ﷺ قال: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ثم أدرك الدجال لم يضره. ومن حفظ خواتيم سورة الكهف كانت له نوراً يوم القيامة).

مجمع البيان المجلد ٣ ص ٤٤٧

مجمع البيان المجلد ٣ ص ٤٤٧

ولا شك أن عظمة السورة وتأثيرها المعنوي. وبركاتها الأخلاقية إنما يكون بسبب الايمان والعمل بها.

أهم المحاور التي تحدثت عنها السورة المباركة:

* تحدثت السورة الكريمة عن ثلاث قصص من بدائع قصص القرآن.

* الأولى: قصة «أصحاب الكهف» وهي قصة الفداء والتضحية بكل غالٍ في سبيل العقيدة. وهم الفتية المؤمنون الذين فرّوا بدينهم وتركوا وطنهم وأهلهم ولاذوا إلى جبل فيه غار صار سكناً لهم بعد حين. ثم بقوا فيه نياماً ثلاثمائة وتسع سنين. وبعثهم ربهم سبحانه بعد تلك المدة الطويلة.

* الثانية: قصة موسى مع الخضر عليه السلام. وكانت هذه القصة تجسيدا حياً للتواضع الفذ في سبيل العلم والمعرفة. إضافة إلى الأخبار الغيبية التي أطلع الله عليها العبد الصالح «الخضر» ولم يكن يعرفها موسى عليه السلام من قبل. كقصة السفينة. وحادثة قتل الغلام. وبناء الجدار.

* الثالثة: قصة «ذي القرنين» وهو ملك مكن الله تعالى له. بسط سلطانه وقوته على أرجاء المعمورة. وبالتالي يملك مشارق الأرض ومغاربها. وما كان من أمر في بناء السد العظيم. إضافة إلى هذه القصص الثلاث. ذكرت السورة المباركة ثلاثة أمثلة واقعية لبيان ان الحق لا يرتبط بكثرة المال والأولاد والسلطان. بل هو مرتبط بالعقيدة.

- المثل الأول: الغني المزهو بماله والفقير المعتز بإيمانه وعقيدته في قصة أصحاب الجنتين.

- **المثل الثاني:** الحياة الدنيا وما يلحقها من زوال وفناء.
- **المثل الثالث:** التكبر والغرور. كما في حادثة امتناع ابليس عن
السجود لأدم وما ناله من الطرد والحرمان ،
وكل هذه الأمثال والقصص هي للعةظة والاعتبار (وما أكثر العبر
وأقل الاعتبار)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝
فِيمَا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝
فِيهِ أَبَدًا ۝ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝
مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝ فَلَعَلَّكَ بَدِخٌ نَفْسِكَ
عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۝
إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
۝ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝
أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝
إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آئِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً
وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝ فَضَرْبَنَا عَلَىٰ عَاذَانِهِمْ فِي
الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ
أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۝

أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ
 إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا
 عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 لَن نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ ءِإِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ
 قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءِإِلَهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمُ
 بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾
 وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ
 يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا
 ﴿١٦﴾ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوَّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ
 الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ
 مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيَهْدِيَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ
 يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ آيَةً
 وَأَنْتَ لَعَلَّيْكَ مِنْهُمْ رَفُودٌ وَنَقَلَبَهُمُ الذُّمَّ عَلَى الشِّمَالِ
 وَكَلَبَهُمُ بَسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
 فِرَارًا وَكَلِمَاتٍ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾

فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

اللفظة والبيان:

- قِيمًا: معتدلاً مستقيماً
- بِأَسَا: الباس. هنا العذاب
- بَاخِع: يخع نفسه انهكها وكاد يهلكها من الغم والفضب
- صَعِيدًا: تراباً
- جُرُزًا: الأرض التي لا نبات فيها
- الرِّقِيم: المراد به اللوح الذي كتبت فيه أسماء اصحاب الكهف.
- شَطَطًا: التجاوز عن الحد
- مَرَفَقًا: المراد به كل ما ينتفع به مأخوذ من الرفق واللطف
- تَزَاوُرُ: تميل

- **تقرضهم** : تجاوزهم وتتركهم

- **بالوصيد** : بفساء الكهف

التفسير :

- بداية السورة باسم الله. والقرآن:

﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا** ﴾

لقد افتتح سبحانه الكلام السورة بالثناء على نفسه بما نزل على عبده قرأناً لا انحراف فيه عن الحق بوجه وهو قيم على مصالح عياده.

﴿ **فِيمَا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا** ﴾ (٢)

أي جعله مستقيماً معتدلاً لينذر الكافرين بعذاب أليم ويبشر الذين يعملون عملاً صالحاً بجنات النعيم.

﴿ **مَا كَثُرَ فِيهِ أَبْدًا** ﴾ (٣)

أي خالدين في نعيم الله وثوابه بلا انقطاع وزوال.

﴿ **وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا** ﴾ (٤)

أي يحذر الكفار الذين قالوا الملائكة بنات الله والنصارى الذين قالوا المسيح ابن الله واليهود القائلين عزيز ابن الله.

﴿ **مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا** ﴾ (٥)

رد سبحانه قولهم عليهم أولاً بأنه قول منهم جهلاً بغير علم وثانياً: كبير وعظم جرمها وعقابها بكلمتهم الكاذبة.

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ

أَسْفًا﴾ (٦)

أي يا محمد ﷺ لماذا تهلك نفسك بالهم والغم أسفاً أو تكاد تهلكها من أجل إعراض الجاحدين عنك وعن القرآن ؟ دعهم وشأنهم وارفق بنفسك ولا تقهرها .

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

(٧)

أي لا تتحرج ولا تتأسف عليهم إذا أعرضوا عن دعوتك فما هم بسابقين ولا معجزين وإنما حقيقة حياتهم هذه هي نوع تسخير إلهي أسكناهم الأرض ثم جعلنا ما على الأرض زينة يفتتن الناظر إليها لتتعلق به نفوسهم . فتبلوهم أيهم أحسن عملاً .

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ (٨)

أي أنا سنعيد ما على الأرض من زينة تراباً مستويماً بالأرض . ونجعله أملس لا نبات فيه ولا شيء عليه .

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾

(٩)

يقول سبحانه لمن يرى العجب في قصة أهل الكهف: أتظن أن أمرهم عجب في قدرة الله فسائر مخلوقاته أعظم وأعجب .

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ

لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (١٠)

أنهم هربوا من قوم يتتبعون المؤمنين ويسفكون دماءهم ويكروهونهم على عبادة غير الله . فالتجأوا الى كهف وهم لا يدرون ماذا سيجري

عليهم ولا يهتدون الى سبيل النجاة لیسلكوه ومن هنا يظهر المراد بالرشد: الاهتداء الى ما فيه نجاتهم.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ (١١)

ومعناه فأجبنا دعاءهم وسددنا آذانهم بالنوم الغالب على نفوذ الأصوات إليها سنين كثيرة.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ (١٢)

ثم أيقظناهم من النوم ليظهر علمنا للناس بمقدار ما لبث أهل الكهف. والمراد بالحزبين: الطائفتان من أصحاب الكهف حين سأل بعضهم بعضاً بعد البعث قائلًا: كم ليثتم؟

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ

هُدًى﴾ (١٣)

أي نتلو عليك - يا محمد - خبرهم بالصدق أنهم شباب آمنوا ايماناً مرضياً بربههم وزدناهم بصيرة في الدين ورغبة في الثبات عليه.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ (١٤)

أي شددناها بالثبات وقوة الايمان حتى وطّئوا انفسهم على إظهار الحق والصبر على المشاق حين قاموا بين يدي ملكهم الجبار دقيانوس الذي كان يفتن أهل الايمان عن دينهم قالوا له ربنا الذي نعبد خالق السماوات والأرض لن نعبد إلهاً سواه وإن دعونا مع الله إلهاً آخر فلقد قلنا إذا قولاً مجاوزاً للحق وغاية في البطلان.

﴿هُؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ

بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (١٥)

فردوا قولهم بأنهم لا برهان لهم على ما يدعونه يدل عليه دلالة بيّنة
وان عليهم أن يقيموا برهاناً قاطعاً على قولهم فلو لم يقيموه كان قولهم
من القول بغير علم في الله وهو افتراء الكذب عليه تعالى.

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ
رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ (١٦)

هذا من قول تملیخا وهو رئيس أصحاب الكهف يشير به عليهم أن
يدخلوا الكهف ويتستروا فيه من أعداء الدين وقد تقرسوا بهدي إلهي
أنهم لو فعلوا ذلك عاملهم الله من لطفه ورحمته بما فيه نجاتهم من
تحكّم القوم وظلمهم.

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ
تَقَرَّبُ إِلَى ذَاتِ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيَهْدِيَ
اللَّهُ لِقَوْمٍ أَلْمَهْتِدِ وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ تُجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ (١٧)

وترى أنت وكل راء يفرض إطلاعه عليهم وهم في الكهف. يرى
الشمس إذا طلعت تميل وتحرف عن كهفهم جانب اليمين فيقع نورها
عليه. وإذا غربت تقطع جانب الشمال فيقع شعاعها عليه وهم في متسع
من الكهف لا تتاله الشمس.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ آيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ
وَكَلِّبُهُمْ بِأَسْطُ ذِرَاعِيهِ بِأَنْوَصِيدٍ لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا
وَلَمَلَنْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ (١٨)

أي لورأيتهم لحسبتهم أيقاظاً منتبهين وهم نائمون في الحقيقة
ولكن عيونهم مفتحة كأنها تنظر الى الامام وأجسادهم طرية يجري
الدم في عروقها. يتقلبون من جنب الى جنب ولولا ذلك لأكلتهم الأرض

ولبليت ثيابهم لطول مكثهم على جانب واحد. وكلبهم بفناء الكهف أو بابه باسط ذراعيه كأنه الحارس الأمين. لو أشرفت عليهم لفررت منهم وأعرضت عنهم هرباً لاستيحاكك الموضع.

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (١٩)

أي أيقظناهم من تلك النوم التي أشبهت الموت حيث ناموا ٣٠٩ سنوات، ثم أيقظهم سبحانه من نومهم الطويل ليتساءلوا عن مدة نومهم. ويزدادوا إيماناً بالله وبالبعث. قال المفسرون إنهم دخلوا الكهف غداً وبعثهم الله في آخر النهار فلذلك قالوا يوماً فلما رأوا الشمس قالوا أو بعض يوم وكان قد بقيت من النهار بقية. قال تلميذا رئيسهم (ربكم أعلم بما لبثتم) فلما أحسوا بالجوع اختاروا واحداً منهم ليشترى لهم طعاماً شهياً وطلبوا منه أن يتكر حتى لا يطلع عليهم أحد.

﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ (٢٠)

أي يشرفوا ويطلعوا عليكم ويعلموا بمكانكم يقتلوكم بالرجم وهو أخبث القتل أو يردوكم الى دينهم. ومتى فعلتم ذلك لن تفوزوا أبداً بشيء من الخير.

وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
 السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا
 ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا **رَبَّهُمْ** أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى
 أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ
 رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا
 بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ **رَبِّي** أَعْلَمُ
 بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا
 وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لَشَأْنِي
 إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ **وَأذْكَرُ رَبِّكَ**
 إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي **رَبِّي** لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا
 ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا
 ﴿٢٥﴾ قُلِ **اللَّهُ** أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 أَبْصَرَ بِهِ وَأَسْمَعُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ
 فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ
رَبِّكَ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ
أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن
شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۗ
وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ
الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ
لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِن أَسَاوِرَ
مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتكِينِينَ
فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ وَأَضْرِبْ
لَهُمْ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِّنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْتَهُمَا
بِنَخْلِ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ
تَظَلْمْ مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلْقَتَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ
لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

اللغة والبيان

- أَعَثَرْنَا عَلَيْهِمْ : أطلعنا الناس عليهم
- رَجَمًا بِالْغَيْبِ : قولاً بغير علم
- مِرَاءً : المراد منه الجدل هنا
- تَسْتَفْتِ : تستخير في أهل الكهف وفي مقدار عددهم
- مَلْتَحِدًا : ملجأً
- سُردَاقُهَا : السُّرَادِقُ: حائط من نار يحيط بهم
- الْمُهْلُ : كل شيء يُذَاب كالنحاس والرصاص
- مُرْتَفَقًا : مستقراً ومنزلاً
- عَدْنُ : الإقامة. يقال: عدن في المكان إذا أقام فيه
- سُنْدُسٌ : الرقيق من الحرير
- اسْتَبْرَقٌ : الغليظ من الحرير

التفسير:

﴿وَكَذَلِكَ أَعَثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ (٢١)

عندما أنماهم ثم بعثناهم أطلعنا الناس عليهم في زمان كان الناس يتنازعون بينهم في أمر البعث ليعلموا أن وعد الله بالبعث حق وأن الساعة لا ريب فيها فقال المشركون استروهم من الناس واجعلوهم وراء ذلك البنيان وقال الملك المؤمن وأصحابه لنتخذن عليهم معبداً يتعبد الناس فيه ببركاته.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامَتُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَنَفِتْ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (٢٢)

اختلف الناس منذ القدم في مكان أهل الكهف وفي أسمائهم وفي عددهم بل وفي لون كلبهم وذكر سبحانه في الكتاب المجيد ثلاثة أقوال الأول: إنهم ثلاثة. الثاني: إنهم خمسة. ثم وصف هذين القولين بأنهما رجم بالغيب أي بلا علم بل بالحدس والظن إذن لا صحة لهما ولا وزن، أما القول الثالث. وهو الأرجح إنهم سبعة وثامنهم كلبهم بواو الاستثناف واعلم أن الأحسن والأفضل هو رد العلم بعددهم الى الله تعالى لأنه لا جدوى من هذا النزاع لذلك قال سبحانه لنبيه لا تجادل في أهل الكهف وعددهم إلا جدالاً يسيراً بلا تعمق ولا تهتم لأنه لا فائدة كبيرة ولا صغيرة ولا تسأل - يا محمد - فيهم من أهل الكتاب أحداً لأن الله قد أوحى إليك في شأنهم ما فيه الكفاية.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ (٢٣)

لقد نهى الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول إنني سأفعل شيئاً ما إلا أن يقيد ذلك بمشيئة الله سبحانه فيقول إن شاء الله.

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ (٢٤)

هذه الآية لها إتصال مع ما قبلها في سياق التكليف يقضي أن يكون المراد من النسيان: نسيان الاستثناء فإذا نسيت ثم تذكرت فقل إن شاء الله وارحُ أن يهديك ربك الى أمر هو أقرب رشداً من النسيان.

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةِ سِنِينَ وَأَزْدَادُوا تِسْعًا﴾ (٢٥)

عاد سبحانه الى فتية الكهف بعد الاستطراد بذكر النسيان والمشية
وبيّن أنهم مكثوا في نومهم ٣٠٩ سنوات.

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ
وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (٢٦)

معناه إن حاجك - يا محمد - ﷺ أهل الكتاب في ذلك فقل الله
اعلم بما لبثوا وذلك أن أهل نجران قالوا اما الثلاثمئة فقد عرفناها
وأما التسع فلا علم لنا بها (أبصر به واسمع) الفعل للتعجب والهاء
تعود إليه تعالى وليس لأهل السماوات والأرض، من دون الله من ناصر
يتولى نصرتهم ولا يجوز أن يحكم حاكمٌ بغير ما حكم الله تعالى به.

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ
مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (٢٧)

أي لا تهلك نفسك على آثارهم أسفا واطل ما أوحى إليك من كتاب
ربك لأنه لا مغير لكلماته فهي حق ثابت لا شك فيه. ولأنك لا تجد من
دونه ملتجأً تلجأ إليه.

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ
أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٢٨)

أمر الله سبحانه نبيه ﷺ بالصبر مع المؤمنين مع الذين يداومون
على الصلاة والدعاء عند الصباح والمساء ويستفتحون يومهم بالدعاء
ويختمونه به يريدون رضوانه ولا تعد عينك عنهم بالنظر الى غيرهم
من أبناء الدنيا ولا تطع من آثر دنياه على آخرته وهواه على طاعة الله

فكان فعله سرفاً وافرطاً.

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا
اعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِينُوا يُلَاقُوا بِمَاءٍ
كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (٢٩)

أي قل يا محمد لهؤلاء الذين أمروك بتحيةة الفقراء الحق من ربكم
ولا ترد على ذلك فمن شاء منهم أن يؤمن فليؤمن ومن شاء منهم أن يكفر
فليكفر فليختاروا ما شاؤوا فقد اعتدنا للكافرين الذين ظلموا أنفسهم
عبادة غير الله تعالى ناراً أحاطت بهم من جميع جوانبهم. ويُغيثهم من
شدة العطش وحر النار بكل شيء أذيب، كالرصاص والنحاس والصفير،
يشوي الوجوه وينضجها عند دنوه منها بئس الشراب ذلك المهل وساءت
النار منزلاً وملجأً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ
عَمَلًا﴾

أي لا نترك أعمالهم تذهب هباءً بل نجازيهم ونوفيهم أجورهم من
غير بخس فإنهم محسنون وإنَّا لا نضيع أجر من أحسن عملاً.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا
مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ
مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (٣١)

أي إن الطيبين ثوابهم جنات عدن يبقون فيها أبداً فيها انهار
لهم وحلي من اساور يلبسون فيها. الديقاق الرقيق والغليظ والمنسوج
بالذهب. منعمون في تلك الجنات على سرر. طاب ثوابهم وعظم المنزل
والمجلس والمجتمع.

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ
وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا﴾ (٣٢)

ضرب الله سبحانه لعباده مثلاً فعن تفسير علي بن ابراهيم بن هاشم أن رجلاً كان له بستانان كبيران كثيرا الثمار كما حكى سبحانه وكان له جار فقير فافتخر الفني متكبراً على الفقير وقال له أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً وقد جعل سبحانه النخل محيطاً بهما وبين البستانين فكملت النعمة بالعنب والتمر والزرع.

﴿كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا
نَهْرًا﴾ (٣٣)

أي كل واحد من البستانين أتت غلتها واخرجت ثمرتها ولم تنقص منه شيئاً أدته على التمام والكمال وشققنا وسط الجنتين نهراً يسقيهما.

﴿وَكَانَ لَهُ تَمْرٌ فَقَالَ لِسَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ
نَفْرًا﴾ (٣٤)

أي فقال الكافر لصاحبه المؤمن وهو يخاطبه أنا أعز عشيرة ورهطاً وسمى العشيرة نفراً لأنهم ينفرون معه في حوائجه.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ
 أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي
 لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ
 أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا
 ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ
 دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا
 أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ
 جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا
 زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاءً غَورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾
 وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقْلُبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ
 عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ
 فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ
 لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَأَصْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ
 فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

الْمَالِ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ
 خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نَسِىَ الْجِبَالُ وَتَرَى
 الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا
 عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ
 أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ
 مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلِنَا مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ
 لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا
 حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
 لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ
 أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ
 بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا
 ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
 فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ
 النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

اللغة والبيان:

- **تَبِيدَ**: تَفَنَى
- **حُسْبَانًا**: الحسبان السهام والحساب والمراد هنا الآفة المهلكة
- **رَلَقًا**: الزلق: ما تزلق فيه الأقدام ولا تثبت عليه
- **عَوْرًا**: ذهب وغار في الأرض
- **أُحِيطَ بِشَمَرِهِ**: حلّ العذاب بأشجاره ونخيله فهلكت عن آخرها
- **يُقَلَّبُ كَفْيِهِ**: تحسّرًا وتأسفًا
- **عُرُوشَهَا**: جمع عرش وهو السقف / سقوفها
- **هَشِيمًا**: كسيرًا. مُفْتَتًا
- **عَضْدًا**: المراد به هنا النصير والمعين
- **مَوْبِقًا**: مهلكًا
- **مُؤَاقِعُوهَا**: داخلون فيها
- **مَصْرِفًا**: محوّلًا ومكانًا ينصرفون إليه ليتخلصوا منها

التفسير:

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ (٣٥)

أي ودخل الكافر بستانه وهو ظالم لنفسه بكفره وعصيانه وقال ما أظن أن تفنى هذه الجنة وهذه الثمار أبدًا.

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا

مُنْقَلِبًا﴾ (٣٦)

أي وما أحسب القيامة آتية كائنة على ما يقوله الموحدون ولئن كانت القيامة والبعث حقًا كما يقوله الموحدون لأجدن خيرًا في هذه الجنة.

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ
مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا﴾ (٣٧)

أي قال له صاحبه المؤمن واعظاً وزاجراً بالأمس كنت نطفة. ولك
اليوم عقل وسمع وبصر. فمن أين هذا؟ هل هو من صنعك أم من لا شيء
؟ وهل عندك من جواب معقول إلا الرجوع الى العلة الأولى لكل موجود.

﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (٣٨)
كأنه قال: ولا اشرك به أحداً لأنه ربي ولا يجوز الاشراك به لربوبيته.
وهذا بيان حال المؤمن قبال ما ادّعه الكافر لنفسه.

﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنَّا
أَقْلَ مِنْكَ مَا لَا وَوَلَدًا﴾ (٣٩)

أي هلاً إذ اعجبتك حديقتك قلت: الحمد لله على فضله ونعمته. ما
شاء الله استعينه على شكره وطاعته كي يدوم لك هذا الرخاء والهناء.
وما يدريك أيها الجهول أني عند الله أغنى منك وأكرم. وأنه ادّخر لي
في دار البقاء ما هو خير منك ومن جنّتك.

﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ
السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ (٤٠)

أي ما يدريك أن يجعلني غنياً بعد الفقر. ويجعلك فقيراً بعد الغنى
بين عشية وضحاها؟ والحسبان في السماء: الآفة والصعيد الزلق: أرض
ملساء لا تثبت عليه قدم ولا ينبت فيها شيء.

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلْبًا﴾ (٤١)
أي أو يصبح مأواها غائراً في الأرض فلن تستطيع أن تطلبه لإمعانه
في الغور والذهاب

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (٤٢)

أي وأهلك أنواع ماله أو فسد ثمر جنته. فأصبح نادماً على المال الذي أنفق والجنة خربة ويقول: يا ليتني لم أشرك بربي أحداً. ولم أسكن الى ما سكنت إليه واغتررت به من نفسي وسائر الأسباب التي لم تتفعن شيئاً.

﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ (٤٣)

أي لم يكن لهذا الكافر جماعة يدفعون عنه عذاب الله. وما كان ممتنعاً.

﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقَابًا﴾ (٤٤)

لقد اتضح ان جميع النعم منه تعالى وان كل ما يريده يحدث وهو طوع إرادته. وإنه بدون الاعتماد على لطفه لا يمكن انجاز عمل.

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ (٤٥)

شبه سبحانه الدنيا في نضرتها بماء نزل على الأرض. فأخصبت وأنبت من كل زوج بهيج. ولكن ما أسرع أن ذوى وجفّ وصار هشيماً تنثره الرياح.

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾ (٤٦)

أي يتفاخر بهما ويتزين بهما في الدنيا ولا ينتفع بهما في الآخرة وإنما سمّاهما زينة لأن في المال جمالاً، وفي البنين قوة، فصارا زينة الحياة الدنيا وكلاهما لا يبقى والطاعات وجميع الحسنات أفضل ثواباً وأصدق املاً من المال والبنين وسائر زهرات الدنيا.

﴿وَيَوْمَ نَسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشْرَنَاهُمْ فَلَمَّ نُعَادِرُ

مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾

يُشِيرُ سَبْحَانَهُ بِهَذَا إِلَى أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَإِنَّهُ يَقْتُلِعُ الْجِبَالَ مِنْ أَمَاكِنِهَا. وَيَسِيرُهَا فِي الْجَوِّ كَالسَّحَابِ. وَتَرَى الْأَرْضَ بَادِيَةً ظَاهِرَةً لَا حَجْرَ وَلَا شَجَرَ وَلَا بِنَاءَ وَخِيَاءَ يَحْجِبُ الْأَبْصَارَ. وَلَمْ نَتْرِكْ مِنْهُمَا أَحَدًا. فَالْحِشْرُ عَامٌ لِلْجَمِيعِ.

﴿وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ (٤٨)

أَيُّ الْمَحْشُورِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَضُونَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِشَكْلِ صَفُوفٍ. كُلُّ زَمْرَةٍ وَأُمَّةٍ صَفًّا. لَقَدْ جِئْتُمُونَا ضَعْفَاءَ فَقَرَاءَ عَاجِزِينَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يَمْلِكُ فِيهِ الْحُكْمَ غَيْرِنَا كَمَا كُنْتُمْ فِي ابْتِدَاءِ الْخَلْقِ. لَا تَمْلِكُونَ شَيْئًا وَيُقَالُ لَهُمْ أَيْضًا بَلْ زَعَمْتُمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا أَنَّ اللَّهَ لَا يَجْعَلُ لَكُمْ مَوْعِدًا لِلْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٤٩)

أَيُّ وَوَضِعَتْ صَحَائِفُ بَنِي آدَمَ فِي أَيْدِيهِمْ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ خَائِفِينَ مِمَّا فِيهِ مِنَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ. فَيَدْعُو الْإِنْسَانَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْوَيْلِ وَالثَّبُورِ. أَيُّ شَيْءٍ لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَتْرِكُ صَغِيرَةً مِنَ الذُّنُوبِ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا عَدَّهَا وَأَثْبَتَهَا وَحَوَاهَا. وَلَا يَنْقُصُ رَبُّكَ ثَوَابَ مُحْسِنٍ وَلَا يَزِيدُ فِي عِقَابِ مُسِيءٍ.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (٥٠)

أي واذكر - يا محمد- هذه الواقعة حتى يظهر لهم أن إبليس - وهو من الجن - وذريته عدو لهم لا يريدون الخير. فلا ينبغي لهم أن يفتنوا بما يُزِينه لهم، هو وذريته من ملاذ الدنيا وشهواتها، والاعراض عن ذكر الله. ولا أن يطيعوهم فيما يدعونهم إليه من الباطل وقد ختم الآية بتقبيح اتخاذهم إياهم أولياء من دون الله الذي معناه اتخاذهم إبليس بدلاً منه سبحانه فقال: ﴿بئس للظالمين بدلاً﴾ (٥١)

﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مِتْخِذًا لِّمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ (٥٢)

أي ما أحضرت إبليس وذريته، خلق السماوات والأرض، ولا خلق أنفسهم ولا استعنت فيهم على خلق بعضهم، وهذا إخبار عن كمال قدرته واستغنائها عن الانصار والاعوان من الشياطين الذين يضلون الناس. وما كنت متخذهم أعواناً يعضدونني عليه.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ (٥٣)

أي يوم القيامة يقول الله تعالى للمشركين وعبدة الأصنام نادوا من زعمتهم في الدنيا أنهم شركائي ليدفعوا عنكم العذاب فيدعوهم فلا يستجيبون لهم ولا ينفعونهم شيئاً. وجعلنا بين المؤمنين والكافرين وادياً عميقاً فرّق الله به بين اهل الهدى واهل الضلالة.

﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ (٥٤)

أي رأى المشركون النار وهي تتلظى حنقاً عليهم وعلموا أنهم داخلون فيها وواقعون في عذابها فلا يجدون موضعاً ينصرفون إليه ليتخلصوا منها.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ
 الْإِنْسَانُ أَكْثَرِ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا
 إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ
 الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ
 إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيَجِدِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ
 لِيدِحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُورًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ
 أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ
 إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا
 وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ
 الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمْ
 الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٥٨﴾
 وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَمَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ
 مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ
 أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا
 مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا غَدَاءٌ نَأْكُلُ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا
 هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ
 الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ
 فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا
 قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ
 عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ، مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ
 عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ
 مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، خَبِيرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ
 سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ
 فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
 ﴿٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا
 لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ
 لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا
 تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ،
 قَالَ أَقْتَلْتَهُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾

اللغة والبيان:

- صَرَفْنَا: بَيَّنَّا
- قُبُلًا: عِيَانًا
- لِيُدْحَضُوا: لِيَبْطَلُوا
- أَكْنَعُ: أَغْطِيَةُ
- مَوْتَلًا: المُوْتَل المَلْجَأ
- حُقْبًا: زَمَانًا طَوِيلًا
- سَرَبًا: مَسْلَكًا يَذْهَبُ فِيهِ
- نَصَبًا: تَعْبًا
- فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا: أَي رَجَعَا عَلَى طَرِيقَهُمَا الَّذِي جَاءَ مِنْهُ
- خُبْرًا: عِلْمًا وَمَعْرِفَةً
- إِمْرًا: مُتَكَرِّرًا. فَظِيْعًا

- التفسير:

﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (٥٤)

أَي بَيَّنَّا نَمَازِجَ مِنْ تَارِيخِ الْمَاضِيْنَ الْمَلِيءِ بِالْآثَارَةِ. وَقَدْ أَوْضَحْنَا لِلنَّاسِ الْحَوَادِثَ الْمَرَّةَ وَاللَّحْظَاتِ الْحَلْوَةَ فِي التَّارِيخِ. لِنَكْمِلَ الْحِجَّةَ عَلَى الْآخِرِينَ وَلَا يَبْقَى ثَمَّةَ مَجَالٍ لِلشُّكِّ وَلَكِنِ الْكَافِرِ أَكْثَرَ شَيْءٍ خُصُومَةً بِالْبَاطِلِ.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ (٥٥)

أي ان الناس لا يطلبون إيماناً ينفعهم والذي يريدونه ان يأخذهم عذاب الاستئصال على سنة الأولين فيهلكوا ولا يؤمنوا. أو يقابلهم العذاب عياناً فيؤمنوا اضطراراً فلا ينفعهم الايمان.

﴿وَمَا نُرْسِلِ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ (٥٦)

هذه الآية تعزية للنبي ﷺ أن لا يضيق صدره من انكار المنكرين واعراضهم عن ذكر الله. فما كانت وظيفة المرسلين الا التبشير والالذار وليس عليهم وراء ذلك من بأس.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ (٥٧)

أي ليس أحد أظلم لنفسه ممن وعظ بآيات القرآن فأعرض عنها جانباً. ونسي المعاصي التي استحق بها العقاب إنا جعلنا على قلوبهم أغطية كراهة أن يفقهوا القرآن. وفي آذانهم صمماً أن يسمعونه وأنهم لا يؤمنون به ابداً.

﴿وَرَبِّكَ الْغُفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً﴾ (٥٨)

معناه وربك الساتر على عباده الغافر لذنوب المؤمنين ذو النعمة والأفضال على خلقه لا يؤاخذهم عاجلاً بل يؤخرهم ليتوبوا. ولهم موعد يوم القيامة والبعث لن يجدوا من دونه ملجأ.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ (٥٩)

إشارة الى قرى عاد وثمود وغيرهم. أهلكناهم لتكذيبهم أنبياء الله

وجحدهم آياته. وجعلنا لوقت هلاكهم موعداً معلوماً.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ
حُقُبًا﴾ (٦٠)

واذكر إذ قال موسى لفتاه يوشع بن نون لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع
البحرين أو أمضي دهرًا طويلاً.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ
سَرِيًّا﴾ (٦١)

أي فلما بلغا الموضع الذي يجتمع فيه رأس البحرين. تركا حوتهما
أو ضللاً عنهما فاتخذ الحوت في البحر مسلكاً يذهب فيه وذلك أن
موسى وفتاه تزودا حوتاً مملوحاً.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا
نَصَبًا﴾ (٦٢)

أي لما جاوزا مجمع البحرين أمر موسى فتاه أن يأتي بالغداء وهو
الحوت الذي حملاه ليتغديا به. ولقد لقيا من سفرهما تعباً.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ
إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ (٦٣)

معناه أن يوشع تذكر قصة الحوت لما دعا موسى بالطعام فقال
له أرايت حين رجعنا الى الصخرة ونزلنا هناك فإنني تركت الحوت
وفقدته وقيل نسيته وما أنسانيه ذكر الحوت لك إلا الشيطان. فهو لم ينس
نفس الحوت وإنما نسي أن يذكر حاله التي شاهد منه لموسى. واتخذ
الحوت طريقه الى البحر وكان أمره عجيباً. يتعجب الفتى من أمره لأنه
كان حوتاً مشويماً فدبت فيه الحياة ودخل البحر.

﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (٦٤)

أي قال موسى ﷺ ذلك ما كنا نطلب من العلامة. فرجعا وعادا في الطريق الذي جاء منه يقصّان آثارهما ويتبعانها ويوشع أمام موسى ﷺ حتى انتهيا الى الصخرة التي فُقد عندها الحوت.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا

عِلْمًا﴾ (٦٥)

أي أدركا عبداً من عبادنا قائماً على الصخرة يصلي وهو الخضر ﷺ واسمه بلياً بن ملكان وإنما سمي خُضراً لأنه إذا صلى في مكان اخضر ما حوله. وعلمناه علماً من علم الغيب ووهبناه نعمة عظيمة وفضلاً كبيراً وهي الكرامات التي أظهرها الله على يديه.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ (٦٦)

أي قال له موسى ﷺ هل أتبعك اتباعاً مبنياً على هذا الأساس وهو أن تعلمني لاقتبس من عملك ما يرشد في حياتي.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٦٧)

إخبار بأنه لا يطبق الطريق الذي يتخذه في تعليمه إن اتبعه لا أنه لم يتحمل العلم.

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ (٦٨)

أي كيف تصبر على ما ظاهره عندك منكر وأنت لم تعرف باطنه ولم تعلم حقيقته.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (٦٩)

أي قال موسى ﷺ ستجدني أصبر على ما أرى منك ولا أخالف أمراً تأمرني به.

﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ

ذِكْرًا﴾ (٧٠)

شرطي عليك أن لا تسألني عن شيء مما أفعله حتى أبينه لك بنفسي.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ

أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ (٧١)

سار موسى والخضر على ساحل البحر حتى مرت بهما سفينة فحملتهما ولكن الخضر خرق السفينة بلا مبرر ظاهر. فثار العاطفة الانسانية في نفس موسى وقال للخضر أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً منكرًا.

﴿قَالَ أَنَّمِ أَقُلُ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٧٢)

أي قال له الخضر ألم اقل لك حين رغبت في اتباعي إن نفسك لا تطاوعك على الصبر معي فتذكر موسى ما بذل له من الشرط.

﴿قَالَ لَا تَأْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ (٧٣)

أي لا تؤاخذني بنسيان الوعد وغفلتي عنه ولا تكلفني عسراً من امري.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي غُلَامًا بغيرِ

نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ (٧٤)

معناه فخرجا من السفينة وانطلقا في البر فلقيا غلاماً يلعب مع الصبيان فقتله. قال موسى قتلته نفساً طاهرة لم ترتكب جرماً يستوجب القتل. لقد فعلت شيئاً منكرًا عظيماً لا يمكن السكوت عنه.

* قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ
 سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا
 ﴿٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأُ
 أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ
 قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي
 وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُوَيْلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَا
 السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا
 وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَا الْغُلَامُ
 فَكَانَ أَبُوهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا
 ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا
 ﴿٨١﴾ وَأَمَا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ
 تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا
 أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ
 عَنْ أَمْرِ ذَلِكِ فَأُوَيْلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ
 عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاثَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَنْبَعُ سَبَبًا
 حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ
 وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا الْقَارِئِينَ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تُنذِرُ
 فِيهِمْ حَسَنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَا مِنْ ظَلَمٍ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ
 فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَا مِنْ ءَامِنٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ فَلَهُ جَزَاءٌ
 الْحَسَنُ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَنْبَعُ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ
 إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ
 دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَنْبَعُ
 سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا
 لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا الْقَارِئِينَ إِنَّا يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ
 مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
 سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ
 وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبُرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ
 قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا
 ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نُقْبًا ﴿٩٧﴾

اللغة والبيان:

- يريد أن ينقض: اشرف على السقوط
- زكاة: طهارة
- رُحماً: هنا الرحمة
- يَبْلُغَا أَشْدهمَا: يكبرا ويعقلا
- مَكَّنَّا لَهُ: جعلنا له قوة وسلطاناً
- حَمِيئة: الحمأ الطين الأسود الممتن
- نُكْرَأُ: فظيماً، مُنْكَرَأُ
- خَرَجَا: جَعَلَا من المال تستعين به في البناء
- رَدْمَا: سداً وحاجزاً
- زُبُرُ الْحَدِيدِ: الحديد: قطع الحديد
- الصدفين: جانبا الجبلين
- قَطْرًا: النحاس او الحديد أو الرصاص المذاب
- أَنْ يَظْهَرُوهُ: يعلو على ظهره لارتفاعه

التفسير:

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٧٥)

مرة ثانية يذكره الخضر بالشرط. وأيضاً مرة ثانية يعتذر موسى

﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي

عَذْرًا﴾ (٧٦)

أي أن سألتك بعد هذه المرة أو هذه المسألة فلا تصاحبني أي يجوز لك أن لا تصاحبني. وقد اعذرت فيما بيني وبينك وقطعت علي كل عذر.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ
يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتُ
لَأَتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (٧٧)

انطلقا الى انطاكيه أو أيلة هي الناصرة. طلبا منهم طعاماً فلم
يضيفهما احد من اهل القرية. فوجدا فيها جداراً مشرفاً على السقوط
فسوَّاه. قال موسى لو شئت لعملت هذا بأجر تأخذه منهم حتى كنا نسدُّ
به جوعتنا.

﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ
صَبْرًا﴾ (٧٨)

معناه هذا الكلام والانكار على ترك الأجر هو المفرق بيننا.
وسأخبرك بتفسير الأشياء التي لم تستطع على الامساك عن السؤال
عنها صبراً.

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (٧٩)

أي أن السفينة كانت لعدة من المساكين يعملون بها في البحر وكان
هناك ملك جبار أمر بغصب السفن. فأردت إعطابها وأن أحدث فيها
عيباً لكي لا يطمع فيها الجبار ويدعها لهم.

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا
وَكُفْرًا﴾ (٨٠)

أي أما الغلام فكان كافراً وأبواه مؤمنين. فعلمنا أنه إن بقي يرهق
أبويه أي يغشيها طغياناً وكفراً وإثمًا وظلماً.

﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ (٨١)

أي فرجوننا الله سبحانه أن يرزقهما مولوداً مطيعاً لله باراً بأبويه
خيراً منه ديناً وطهارة وأرحم بهما.

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ
لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا
كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ
عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٨٢)

أي فإنما اقمتم الجدار لأنه كان لغلامين يتيمين. وكان تحته كنز
لهما. وإنه سبحانه حفظ الغلامين بصلاح أبيهما. فأراد الله تعالى أن
يكبرا ويعقلا ويستخرجا الكنز وهو نعمة من ربك. وما فعلت ذلك من
قبل نفسي وإنما بأمر الله تعالى ذلك تفسير ما ثقل عليك مشاهدته
ورؤيته واستكرته.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (٨٣)

سأل اليهود محمد ﷺ عن أخبار ذي القرنين لمجرد الإحراج. وما
دروا ان الله يسأله ويمده بالجواب المضمم المخرس. قل يا محمد
سأقص عليكم من نبأه وخبره قرآناً ووحياً. اختلف العلماء والمفسرون
في هوية ذي القرنين فعن الإمام علي عليه السلام: كان عبداً صالحاً أحب الله
فأحبه فأمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه فغاب ثم رجع فدعاهم.
فضربوه على قرنه الآخر وقيل إنه ملك فارس والروم. أو المشرق
والمغرب.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَاتَّبَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ (٨٤)

أي أعطاه سبحانه في الدنيا الملك العظيم. وهياً له من أسباب
القوة كل سبب من العدة والعدد. وفوق ذلك توفيق الله وعنايته.

﴿فَاتَّبَعَ سَبِيًّا﴾ (٨٥)

معناه فاتبع طريقاً واحداً في سلوكه

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ
عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تُتَّخَذُ فِيهِمْ
حُسْنًا﴾ (٨٦)

أي ذهب ذو القرنين الى بلاد المغرب مجاهداً في سبيل الله حتى
انتهى في سيره الى بحر على شاطئه طين اسود بحيث يترأى للعين أن
الشمس تغيب فيه وتختفي. وقلنا تدعوا يا ذا القرنين هذه الأمة الضالة
الى الايمان وصالح الأعمال فمن استجاب فلا سبيل لك عليه ومن أصرَّ
على الكفر والضلال فأنت مخير بين عقابه وإمهاله عسى أن يتوب
ويؤوب الى الرشيد.

﴿قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا
ثُكْرًا﴾ (٨٧)

قال ذو القرنين: أما من اشرك فسوف نقتله إذا لم يرجع عن
الشرك ثم يرجع الى ربه فيُعَذِّبُهُ عَذَابًا مُنْكَرًا فَظُلْمًا فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ
أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ (٨٨)

أي وأما من آمن وعمل عملاً صالحاً فله المثوبة الحسنى وسنقول له
قولاً جميلاً ميسوراً من أمرنا.

﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبِيًّا﴾ (٨٩)

أي طريقاً آخر من الأرض ليؤديه الى مطلع الشمس ويوصله الى
المشرق.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجدهَا تَطَّلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ
مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ (٩٠)

أي بلغ بلاد الشرق وجدها لا بيوت تسترهم ولا أشجار تظلهم من
الشمس. وكانوا أشبه شيء بوحوش الفلوات.

﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ (٩١)

أي أمر ذي القرنين كما حكينا ولا ريب في أنه تعالى أحاط بكل
شيء علماً.

- كيف تمّ بناء سد ذي القرنين؟

﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا﴾ (٩٢)

أي ثم رحل ذو القرنين رحلة ثالثة.

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ
يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ (٩٣)

ثم أخبر سبحانه عن حال ذي القرنين بعد منصرفه عن المشرق إنه
سلك طريقاً إلى أن بلغ بين السدّين ووصل إلى ما بينهما وهما الجبلان
الذان جعل الردم بينهما وهو الحاجز بين يأجوج ومأجوج ومن وراءهم
وجد قوماً لا هم يفهمون لغة ذي القرنين ولا هو يفهم لغتهم ولكنه فهم
مطالبهم بالحركات والاشارات أو بواسطة مترجم.

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ
نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (٩٤)

قالوا له بترجمان إن يأجوج ومأجوج وهما قبيلتان من ولد يافث
بن نوح مفسدون في أرضهم وفسادهم إنهم كانوا يخرجون فيقتلونهم
ويأكلون لحومهم ودوابهم فهل نجعل لك بعضاً من أموالنا حتى تجعل

بيننا وبينهم حائطاً.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ

رُدْمًا﴾ (٩٥)

أي قال ذو القرنين: ما أعطاني ربي من المال ومكّني فيه من الاتساع في الدنيا خير مما عرضتموه عليّ من الأجر. فأعينوني برجالٍ حتى أجعل بينكم وبينهم سداً وحاجزاً.

﴿أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا

حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ (٩٦)

قال ذو القرنين: أعطوني قطع الحديد حتى اعمل الردم. حتى إذا ساوى بين الجبلين جعل الفحم بينهما. قال انفخوا النار على الزبر. حتى إذا جعل الحديد كالنار في منظره من الحمي واللهب فصار قطعة واحدة. قال أعطوني نحاساً مذاباً.

﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (٩٧)

أي فلما لم يستطع يأجوج ومأجوج أن يعلوه. ولم يستطيعوا أن ينقبوا أسفله لكثافته وصلابته.

قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَنخُدُوا بِعِبَادِي مِن دُونِي أَوْ لِيَاءِ إِنَّا أَعْنَدْنَا جَهَنَّمَ لِّلْكَافِرِينَ نَزْلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزْلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

اللغة والبيان:

- نُزُلًا: مثوى وَمَنْزَلًا.
- الضردوس: أطيب وأرفع وأفضل موضع في الجنة
- حَوْلًا: متحولًا
- مَدَادًا: المراد بالمداد هنا الحبر

التفسير:

﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾

قال ذو القرنين: هذا السد نعمة من ربي ووقاية يدفع بها شر يأجوج ومأجوج عن أمم من الناس وتبقى هذه الرحمة الى مجيء وعد ربي فإذا جاء وعد ربي جعله مذكوكاً وسوى به الأرض.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ (٩٩)

أي تركنا يأجوج ومأجوج يوم انقضاء أمر السد يمجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم ﴿ونفخ في الصور﴾ لأن خروج يأجوج ومأجوج من اشرط الساعة وحشرنا الخلق يوم القيامة كلهم في صعيد واحد.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ (١٠٠)

أي تبرز جهنم للمجرمين قبل دخولها ليروا ما فيها من عذاب ونكال. فيكتبوا بنارين: نار الرعب ونار الحريق.

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ (١٠١)

أَي السبب الذي استحقوا به النار إنهم غفلوا عن الاعتبار بقدرتي
الموجبة لذكري واعرضوا عن التفكر في آياتي ودلائلي فصاروا بمنزلة
من يكون في عينه غطاء يمنعه من الإدراك. وكان يثقل عليهم سماع
القرآن وذكر الله تعالى.

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنْأنا
عُتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ (١٠٢)

أَي أفحسب الذين جحدوا توحيد الله أن يتخذوا من دوني أرباباً
ينصرونهم ويدفعون عقابي عنهم. إنا جعلنا جهنم مهياًة للكافرين
عندنا كما يهياً النزل للضيف.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٠٣)

قل يا محمد هل نخبركم بأخسر الناس أعمالاً.

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ
صُنْعًا﴾ (١٠٤)

بطل عملهم وضاع في هذه الحياة الدنيا لأن الكفر لا تنفع معه
طاعة. وهم يظنون أنهم محسنون بأفعالهم.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا
نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ (١٠٥)

أَي جحدوا بحجج الله وبيّناته ولقاء جزائه في الآخرة فبطلت
وضاعت أعمالهم التي عملوها لأنهم أوقعوها على خلاف الوجه الذي
أمرهم الله به فلا قيمة لهم عندنا ولا كرامة، ولا نعتد بهم بل نستخف
بهم ونعاقبهم.

﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي

﴿هُزُوا﴾ (١٠٦)

معناه الأمر الذي ذكرت من حيوط أعمالهم وخيبة قدرهم بسبب كفرهم واتخاذهم آياتي أي أدلتي الدالة على توحيدني يعني القرآن ورسلي هزواً أي مهزواً به.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ

نُزُلًا﴾ (١٠٧)

أي الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات لهم في حكم الله وعلمه بساتين الفردوس وهو أطيب موضع في الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها منزلاً ومأوى.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ (١٠٨)

أي ماكتفين فيها أبداً لا يطلبون تحولاً ولا خروجاً عنها ولا تحويلاً.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ

كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (١٠٩)

هذا تمثيل لسعة علم الله والمعنى لو كانت بحار الدنيا حبراً ومداداً وكتبت به كلمات الله وحكمه وعجائبه. لفضى ماء البحر على كثرته وانتهى كلام الله لا ينفذ لأنه غير متناه كعلمه جلّت قدرته. وحتى لو أتينا بمثل ماء البحر وزدناه به حتى يزداد فإن كلام الله لا يتناهى.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ

كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ

أَحَدًا﴾ (١١٠)

أي قل يا محمد إنك آدمي كغيرك (إلا أنك مكرم بالوحي) وإلهكم واحد لا شريك له ولا فضل لي عليكم إلا بالدين والنبوة ولا علم لي إلا ما

علمنيه الله تعالى فمن كان يطمع في لقاء ثواب ربه ويأمل ويقر بالبعث إليه والوقوف بين يديه. فليعمل عملاً خالصاً لله تعالى. ولا يرائي في عبادته أحداً.

- روي أن أبا الحسن الرضا عليه السلام دخل يوماً على المأمون فرآه يتوضأ للصلاة والغلام يصب على يده الماء فقال لا تشرك بعبادة ربك أحداً فصرف المأمون الغلام وتولى إتمام وضوئه بنفسه.

- وقال أبو عبد الله عليه السلام أما من أحدٍ يقرأ آخر الكهف عند النوم ألا يتيقظ في الساعة التي يريدها.

إلهي اجعل نياتنا خالصة لك وحدك. ونجنا مما نخاف ونفزع. وادخلنا الجنة يا ارحم الراحمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين